

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مصادر ابن خلدون في المقدمة
علوم القرآن والحديث أنموذجاً

إشراف:
د. محمد موسوي

إعداد الطالبتين:
- الواد صليحة
- مختاري جهيدة

السنة الجامعية

1435-1434 هـ / 2013-2014 م

اللهم

" اللهم إنا نسألك خير المسألة

وخير الدعاء وخير النجاح

وخير العلم وخير العمل وخير الثواب

وخير الحياة والممات، وثبتنا وثقل موازيننا، وحقق

أمانينا

وارفع درجاتنا وتقبل صلاتنا، واغفر لنا خطايانا

ونسألك العلاء من الجنة"

أمين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

" ... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير... "

سورة المجادلة الآية 11

شكرو عرفان:

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أتقدم بالشكر وهذا من باب قول الحبيب عليه الصلاة والسلام: "من لم يشكر الناس لم يشكره الله" خير محمود ومشكور وهو المنعم سبحانه وتعالى الذي من علينا بفضله ووفقنا لإتمام هذا العمل: كما لا يسعنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذ المحترم الدكتور: "موسوني محمد" الذي تحمل مجارة خطواتنا الوئيدة لانجاز هذا العمل والوصول به إلى خواتيمه الموجودة.

لقد كان عوننا لنا في توجيهاته القيمة والسديدة، وقد فتح لنا قلبه الكبير وسدد خطانا. ونشكر لجنة المناقشة التي رضيت بتقييم عملنا هذا وتصحيحه وإثرائه جزاهم الله خيرا وبارك في أعمارهم.

وأخيرا نشكر أفراد أسرتنا الذين تحملوا ثقل إزعاجنا لهم، وحجز أوقاتهم وتنكيد عيشهم، قد وقفوا جميعا بجانبنا وآزرونا بما استطاعوا، فأمل أن نفي بعملنا هذا بعض ما قصرنا فيه نحوهم.

إلى هؤلاء ألف شكرا وأزكى تقدير، وأتمنى لهم كل الخير والعزة في الدنيا والآخرة، والمستعان الحمد لله على كل حال والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وشكرا

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد حب القلوب ودواؤها وعافية الأبدان وشفاءها، ونور الأبصار
وضيائها. أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي وسنين دراستي:

إلى النور الذي أنار دربي والشمس التي لم تغرب عن حياتي، إلى من تبعث في
نفسى الهمأينة بحنانها وحبها، إلى حبيبتي وروحي أُمي "مريم"....

إلى من أضرم فراقه ناراً بفؤادي، ولم يستطع الزمن هزيمة هذا الألم والجراح، إلى من
جفت مقلتي من الدموع من كثرة اشتياقي لرأيتك، إلى من تمنيت أن يشاركني
فرحتي ونجاحي ولكن القدر أسرع باختلافه مني، إليك روح أبي الغالية، إليك يا
حبيبي أبي "بوفلجة"....

إلى أئمن هدية من الله عز وجل: إخواني الأعزاء، وأخواتي حبيباتي: فوزية، لصفية،
حنان... وأبنائهم وإلى كل العائلة الكريمة.

إلى رفيقات دربي ومن جمعني معهن أجمل اللحظات وأحلى الذكريات بجميع
نصروفها: رقية، عائشة، فتيحة، خديجة، جميلة، خلود، إيمان

إلى من شاركوني الحياة الجامعية أصدقائي الأوفياء.

إلى كل من شاركني في هذا العمل وشاركوني فرحتي....

جميلة



إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله أفضل الخلق مبعوثا رحمة للعالمين، أدى الأمانة وبلغ الرسالة نسأل الله أن يؤتية الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وبعد:

بعد أن أتممت هذا العمل المتواضع أتقدم بإهداء ثمرة نجاحي وجهدي إلى اللذان قال فيهما الله تعالى: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا".

إليكما أيها الغاليان كل الحب والتقدير.

يا من جعلت أحشائك لي مسكنا وقلبك لي مخبأ، يا أروع مخلوق في هذا الوجود، يا أحلى ما ينطق به اللسان، وأجمل ما تراه العين، يا من مسحت دموعي لحظة الفشل، وبكت بدموعها لحظة النجاح، إليك أُمي الحبيبة: "خيرة".

يا من تملك كياني وحياتي كلها لأنني أحمل اسمك ويحق لي العيش بشرفك وتحت سقفك، يا أعظم رجل صاحب القلب الكبير الذي أعطاني كل شيء مقابل لا شيء، أبي العزيز: "أحمد".

إليكما والدي كل الشكر والتقدير وأطال الله عمركما وجعلكما تاجا فوق رأسي .

إلى أئمن هدية من الله سبحانه وتعالى، أخواتي وإخواني الأعزاء حفظهما الله جميعا.

إلى جميع العائلة الكبيرة، عماتي وعمي الوحيد وخالاتي وأخوالي جميعا.

إلى رفيقات دربي وصديقات عمري: حفيظة، حنان، خديجة ...

إلى جميع الأصدقاء والزملاء من بعيد أو قريب.

الطالبة :

صليحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بجلال وجهه وكمال ذاته، وجلال صفاته وعظيم سلطانه،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أمام المرسلين وقوة الداعين، وعلى آله وصحبه ومن
دعا بدعوته إلى يوم الدين، أما بعد:

يحتل ابن خلدون في التراث العربي الإسلامي، وفي الفكر المعاصر، مكانة مميزة
وبالنظر إليه على أنه صاحب الرؤية الحضارية خاصة ولاسيما فيما يتعلق بدراسته التاريخ
البشري، والمجتمع الإنساني، والعمران الحضاري، ويتجاوز بعض الدارسين له ذلك
فيتحدثون عن عبقريته في الفكر الاقتصادي والتربوي والسياسي وغير ذلك من الحقول
المعرفية، ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لإبراز مناقشة الدرس القرآني في المقدمة
والكشف عن علاقته بالموارد المدروسة فيها.

وكان اختيارنا لهذا الموضوع مبني على إشكالية قائمة على مجموعة من التساؤلات:

- 1- هل لابن خلدون دور في تطور الفكر الحضاري؟
 - 2- كيف تم التحقيق العلمي للتداخل في المقدمة؟
 - 3- كيف تم الوقوف على أهمية الدرس القرآني في علم العمران؟
 - 4- ما هو الفرق بين التكامل العلمي بين علوم المقدمة والعلوم الحديثة في الدراسات
القرآنية والحديث النبوي الشريف؟
- لقد اقتضت مني طبيعة دراستي لهذا الموضوع أن أقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول
وخاتمة.

وبسطت الموضوع في المقدمة، وخصصت الفصل الأول للحديث عن حياة ابن خلدون
وآثاره الفكرية... وقسم إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التعريف بالمقدمة. المبحث الثاني:
لغة المقدمة. المبحث الثالث: أبواب المقدمة.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت عن علوم القرآن في المقدمة ودرجت تحته ثلاثة
مباحث: المبحث الأول: تعريف علوم القرآن من خلال المقدمة. المبحث الثاني: مباحث علوم
القرآن في المقدمة. المبحث الثالث: مصادر علوم القرآن في المقدمة.

أما الفصل الثالث: فقد تضمن الحديث عن علوم الحديث في المقدمة، وقسمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: تعريف بعلم الحديث من خلال المقدمة. المبحث الثاني: مباحث علوم الحديث في المقدمة. المبحث الثالث: مصادر علوم الحديث في المقدمة.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذه المذكرة عديدة أذكر بعضها: المقدمة لعبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون لابن خلدون، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون لصغيراني عمار، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة لابن براهيم الطيب، وقد اقتضت طبيعة الدراسة استخدام للمنهج الوصفي التحليلي واستقراء النصوص وذلك من خلال طرح مختلف المفاهيم المتعلقة بعناصر البحث ووصفها بشكل يساعدها على توضيح محددات البحث وتبسيطها، كما استخدمنا المنهج التاريخي الذي يبين حياة ابن خلدون، وانعكاسه على الجانب المعرفي الذي تحفل به المقدمة.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذه المذكرة والله من وراء القصد.

الواد صليحة

مختاري جهيدة

شعبة الأدب العربي

قسم العلوم الإنسانية

جامعة أبي بكر بلقايد

- تلمسان -

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013-2014

حياة ابن خلدون وآثاره الفكرية:

تستوقفنا مليا في تاريخ أمتنا المجيد صفحة ناصعة، تشيع فيها أسطر نورانية وضاءة، تريك من عالم الأمس آفاقا واسعة من المجد، نهض بافتتاكها عبقرى واحد، مضيفا إلى أمجاد أسلافه نتاج عبقرية المستخلصة البناءة المبتكرة، جد السير منذ غلس طفولته، بعزم وحزم، وإقدام على المعالي وصبر المشقات وظل يرتقى حتى صعد ذرى المجد الشامخات، في عمر إنسان واحد، لا يتسع عادة لذلك، وهذ سر العبقرية، وبرهان الذكاء الفائق، وما تكاد تظن أن الزمان يسمح بمثله.

برع في العلوم العديدة كاللغة والتاريخ والبلاغة والصرف، كما درس العلوم العقلية والفلسفية والمنطق والعلوم الطبيعية والفلكية الرياضية وحفظ القرآن الكريم. فلم يعرف التاريخ الإسلامي عالما صنف من الكتب بقدر ما صنف تلقته الأمة بقبول عظيم، واحترام لا مزيد عليه، تضوق على أدياء زمانه وسماء على فضلاء عصره، فلندرس أهم سمات عصره وجوانب من شخصيته.

اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون، اسمه عبد الرحمن ، وكنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته "ابن خلدون" ويقال أنه "عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن الحسن ابن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون"¹. وتعود أسرة ابن خلدون إلى أصل يمانى حضرمي وأنها تنسب إلى وائل ابن حجر وهو صاحبى معروف. ولقد دخل خالد بن عثمان الذي اشتهر فما بعد باسم خلدون وهو من أحفاد وائل ابن حجر إلى أندلس مع الغزاة العرب، وأنشأ بيتا في قرمونة. ثم انتقلت أسرة خلدون كما جاء في التعريف إلى

(1) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، بن تاويطالطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ط. 1951، ص 1.

إشبيلية. وعندما استولى ابن أدفونش على إشبيلية، انتقلت الأسرة إلى تونس وذلك في منتصف القرن السابع الهجري¹.

العصر الذي عاش فيه:

كان العصر الذي عاش فيه ابن خلدون هو نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة إذ عاش ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) وكان هذا القرن فترة تغيرات تاريخية هائلة في الناحيتين السياسية والفكرية معا، ففي أوروبا كانت بشائر النهضة تلوح في الأفق أما بالنسبة للدولة الإسلامية فقد كانت هذه الفترة بالنسبة لها تدهور وانحدار ، أما بالنسبة لشمال إفريقيا، وهي التي تكون الأندلس المغرب العربي، فقد انهارت دولة الموحدين في آخر القرن السابع الهجري، وانقسمت تلك المنطقة إلى ثلاث دويلات، فقامت في تونس، وكان يطلق عليها عندئذ إفريقية دولة بني حفص وعاصمتها تونس، وقامت دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان، وكانت هذه الدولة أضعف الدول الثلاث وأكثرها استهدفا للفتن والانقلابات، وطبيعي أن هذا الانقسام الشديد كان من شأنه أن يؤدي إلى ثورات وانقلابات سياسية دائمة فلم تستقر الدولة ولم يدم حال العرش²، ووسط هذا الصخب كان أصحاب الدولة يعيشون في بذخ شديد ويحاولون دائما جمع كبار الأدباء والمفكرين حولهم كنوع من الترف وكان ابن خلدون أحد هؤلاء المفكرين، فقد عاش معظم حياته ملتصقا بأمير أو بآخر، فهذا اليوم في خدمة أمير، وغدا في صحبة سلطان آخر، وهو دائم مع الأقوى يسير في ركابه، حتى إذا كلفه هذا الانقلاب على صديق. ويقول لنا "جاستونبول"³ في كتابه الممتاز عن ابن خلدون: "إننا قبل أن

(1) فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، د. زينت محمود الحصري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص. 16.

(2) ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، محمد عبد الله عنان، دار الكتب والوثائق القومية، ط1 تبسة 2006، ص، 23، 25.

(3) جاستونبول: دكتور في الأدب، ودكتور في الحقوق، وعضو في المعهد الدولي لعلم الاجتماع، وأستاذ في كلية الدراسات الاجتماعية العليا بباريس.

نحكم على أخلاقه وقيمه ونتهمه بسرعة التقلب وعدم الولاء يجب أن ننظر له في إطار الظروف التي عاش فيها، ففي مثل ظروف الدولة الإسلامية حينذاك تكون الخيانة الوحيدة التي تستحق هذا الاسم هي الخيانة الدينية لأن الشعور بالوطن لم يكن موجودا نظرا للتفتت الشديد داخل الدولة الإسلامية في المغرب، وكان الشعور الوحيد المقدس وقت ذلك هو الشعور الديني"¹.

مولده وحياته:

ولد عبد الرحمن ابن خلدون في تونس في غرة رمضان سنة 732هـ - 808هـ الموافق لـ 27 ماي 1332م، وهو حضرمي الأصل كان أبوه هو معلمه الأول كما جرت العادة في ذلك الوقت، ثم قرأ القرآن على يد أستاذه أبي عبد الله محمد بن سعد. تدرس العلوم اللسانية في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والآدب على أيدي عدة أساتذة، ودرس الحديث على يد شمس الدين أبي عبد الله الواد ياشني. ودرس الفقه على أيدي مجموعة من الأساتذة نذكر بعضهم، أبو عبد الله محمد الجياني وأبو القاسم محمد القصير، كما درس العلوم العقلية أو الفلسفية والمنطق والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية على يد أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلبي وكانت ثقافته موسوعة كما ذرى ولكنه ما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى انقطع عن الدراسة ورمى بنفسه في خضم الحياة والسياسة المضطربة التي كان يتميز بها المغرب العربي في ذلك الحين، أما لماذا ترك الدراسة ما يجيب عنه هو في التعريف وفي المقدمة إذ يقول: "إن الطاعون انتشر في البلاد سنة 749هـ فأتى على والديه ومعظم أساتذته كما دفع بالآخرين إلى المغرب الأقصى عام 750هـ."²

(1) موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ج4، 1999، ط1.
(2) المقدمة، ابن خلدون، المطبعة الأدبية في بيروت، ط2، 1886، ص29.

ولقد كانت حياته مليئة بالرحلات والمغامرات، وكثرة الشخصيات التي تعرف عليها واحتك بها، وهي من كبار شخصيات ذلك، العصر، وانقسمت حياته إلى أربعة مراحل وأربعة أدوار.

- **الدور الأول:** وهو دور الدراسة حتى سن العشرين أي من عام 732هـ إلى 752هـ وقد قضاها في تونس.

- **الدور الثاني:** أي دور العمل السياسي واستمر أكثر من عشرين عاما وهو يمتد من 752هـ إلى 766هـ.

- **الدور الثالث:** وهو دور التأمّن والتفكير في قلعة ابن سلامة أولاد بني عريف وقد استمرت هذه الفترة أربع سنوات فقط حتى نهاية 780هـ.

- **الدور الرابع:** هو دور الانصراف إلى التدريس والقضاء وفيه اكتفى بالتدريس في تونس من عام 780هـ إلى عام 784هـ أما في مصر فقد زاول الاثنين معا، وتمتد هذه الفترة من عام 784هـ إلى وفاته وفي هذه الفترة الطويلة التي قضاها في مصر¹. ولقد كان ابن خلدون شديد الحرص على كرامته وشرفه معتزا بنفسه بعيدا عن الرياء والشقاق ذا أخلاق فاضلة معتمدا في حياته على العمل وميلا إلى البحث العلمي أكثر من نزوعه إلى الشهرة والتمسك بالقيم والمبادئ السامية والرؤية الواضحة في الأمور والقدرة على الخوض في المشاكل والخروج بنجاح وسلامة². وقد تأثر ابن خلدون تأثرا كبيرا بتربيته

(1) فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، د. زينب محمد الحصري، ص، 27.
(2) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فخري خليل النجار، ط1، 2009ك/1430هـ، ص، 25.

الدينية تأثراً رافقه حتى في إطلاق احكامه وقد رأيناه ينفي معاقرة الخمر عن الرشيد بحجة أنه كان " يصلي مائة ركعة نافة وكان يغزو عاما ويحج عاما"¹.

وفاته:

وكما قدر الله أن لكل أجل كتاب، فيتوقف قلب عبقرى الإنسانية عام 25 رمضان 808هـ أي 19 مارس 1405م، أي في أواخر حكم السلطان المملوكى الناصر فرج، ولقد حدث ذلك فجأة، ودفن في مقبرة الصوفية، خارج باب النصر بالقاهرة². وكان عمره آنذاك حينئذ أربعاً وسبعين سنة ميلادية أو ست وسبعين سنة هجرية قضاها متنقلاً في أرجاء كثيرة من العالم الإسلامي، متقلداً وظائفاً عديدة كان آخرها القضاء في مصر، حيث وافته المنية وهو على رأس العمل، ولكن فكره لم يتوقف إلى دهر الداهرين أمين، الشهر الذي توفي فيه هو الشهر الذي ولد فيه من سنة 808هـ. وما زال الناس إلى هذا اليوم يعرفون الدار التي ولد فيها وسام الشارع بتربة الداى، وتم دفنه بمقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة³.

ثانياً: حياته العلمية ومؤلفاته:

حياة ابن خلدون العلمية ونشأتها:

نشأ ابن خلدون وترعرع في حضن والده الذي رباه تربية إسلامية فشب على حب الاسلام، وتعليم مبادئ الدين الحنيف، وتطبيقها في ظل هذه الأسرة المحافظة، فحفظ القرآن الكريم على يد والده، وأخذ عنه مبادئ اللغة العربية. ثم توسع في العلوم الأخرى. كما تدرج في التعليم من دراسة علوم القرآن الكريم، والقراءات العربية، والتفسير والحديث كصحيح

(1) مقدمة ابن خلدون، تأليف العلامة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت – لبنان، ص13.

(2) مؤلفات ابن خلدون عبد الرحمن بدوي، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية فالجنائية، دط، 1962، ص، 27.

(3) مقدمة ابن خلدون، تأليف العلامة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار صادر، بيروت – لبنان، ط1، 2000، ص، 7.

البخاري ومسلم والسنن وغيرها، والفقهاء المالكي وعلم المنطق والعقيدة. ثم حفظ الشعر الجاهلي، وقصدي الشاطبي، وشعر المتنبي، وأبي تمام، وكان ابن خلدون حريصاً على طلب العلم والمعرفة يوماً بعد آخر مقتدياً في ذلك بسير سلفه من العلماء والفقهاء. كان لهم الفضل الأكبر في تعليمه بداية في جامع الزيتونة، وكان أولهم شيخه ابن برال الأنصاري الذي قرأ عليه القرآن بالقراءات السبع المشهورة إفراداً وجمعاً وفي إحدى وعشرين ختمة¹. كما يواصل ذكر سلسلة مشيخته الذين تعلم على أيديهم النحو وعلوم اللسان وهما الحصائري، ومحمد بن بحر، وقد أخذ القه عن محمد بن عبد الله الحياي، أما الأبلي فكان ابن خلدون يقول عنه شيخ العلوم العقلية. وكان يؤثر عن غيره².

فقد كان ابن خلدون يقطع الأميال والمسافات ويرحل من بلد إلى بلد للحصول على العلم والاستزادة منه، عن طريق المداومة في حضور مجالسهم في المساجد والمدارس وغيرها، والقارئ لابن خلدون يجد أنه قد واصل رحلاته في طلب العلم في مدينته التي ولد فيها، ثم لما حل بها الطاعون، وهلك فيها من هلك، وهاجر منها العلماء، خرج ابن خلدون منها واضعاً هدفاً في الحياة وهو طلب العلم أينما كان، حتى وإن كان ذلك لا يتحقق إلا عن طريق تقلد الوظائف العامة في البلاد المجاورة له، في منطقة المغرب العربي والأندلس، أو من خلال تلك الجولات انتهى به المطاف إلى مرحلة التدوين والتأليف، مفرغاً قلبه وفكره عن كل ما يشغله ويشغله ذهنه من مناصب³. ثم عقب تلك الفترة نشر العلم وهداية الخلق ومعرفة أحوال العالم الإسلامي مبتدئاً رحلته العلمية للحرمين الشريفين ومصر والشام واستقطاب أرض مصر له وحبه في الاستقرار بها، وتوليه المناصب العلمية والقضائية.

(1) مالك بن نبي وابن خلدون مواقف مشتركة وأفكار مشتركة، بن إبراهيم الطيب، مؤسسة الأخوة مدني، د.ب.، د.ت.، ص، 16، 17، 18.

(2) المرجع السابق، ص، 15.

(3) ابن خلدون فقيه، هاني محمد أبو شنب، رسالة تخرج، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2012، ص5.

لم يقتصر تعليم ابن خلدون على علم دون آخر، ولا على بعض دون البعض الآخر، لقد تعلم وتعمق في كل علوم عصره، العقلية منها والنقلية وهذا ما أهله لأن يصبحفها ومؤرخا وكاتبا وشاعرا وفيلسوبا وحاجبا ودبلوماسيا وإماما ومفتيا وقاضيا، وهذه العلوم، لا يأخذ بناصيتها مجتمعة إلى الراسخون في العلم .

وقد شهد لابن خلدون بكفاءته العلمية وسعة اطلاعه وكثرة حفظه وغازرة معلوماته وعمق أفكاره، ومن ألمع معاصره الذي شهد له بذلك صديقه ومعاصره ابن الخطيب قائلا عنه: " شديد البحث كثير الحفظ، صحيح التصور، مفخر من مفاخر التخوم المغربية"¹. أما تلميذه السخاوي فكان ينعته بشيخنا العالم العلامة، فكان يتمتع بقدر كبير من العلم والموضوعية.

رحلاته العلمية والعملية:

لم يستطع ابن خلدون أن يكمل دراسته وتعليمه في تونس، وذلك بسبب الطاعون وهجرة العلماء منها، أخذ يتطلع إلى تولي الوظائف الحكومية العامة والسير في الطريق الذي سار فيه أجداده فشغل ذلك أكبر قسط من وقته ونشاطه في أثناء فترة علمه، والتي استغرقت زهاء خمسة وعشرين سنة من حياته يبدو أن هذه الأمور لم تكن لتشبع طموحاته واستعداداته الحقيقية في شيء وأنه قد دفع إليها دفعا واضطر لخوض غمارها اضطرارا عن غير حب ولا رغبة ومن أجل ذلك كان يتحين الفرص التي كانت تتاح له في أثناء هذه المرحلة، ليعاود القراءة والاطلاع وتلقي العلم وتدريسه، ويرضي بذلك الرغبة الكامنة في نفسه وهي رغبة عميقة امتازت بها شخصيته الحقيقية².

وفي هذا يقول ابن خلدون عن نفسه: "لم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، منتقلا بين دروس العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي - رحمهما

(1) المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، ج1، ص19.
(2) ينظر: ابن خلدون فقيه، هاني محمد أبو شنب، ص، 60

الله – فلزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الأبلي، واستدعاه السلطان فأرتحل إليه، واستدعاني أبو محمد بن تافراكين، وأدلاني منه، فلما دعيت إلى هذه الوظيفة، سارعت إلى الإجابة، لتحصيل غرض من اللحاق بالمغرب وكان ذلك...¹

الوظائف التي تقلدها:

فبعد أن تولى وظيفة (كتابة العلامة) سار مع رئيسه ابن تافراكين لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي، حيث انهزم ابن تافراكين، ففر ابن خلدون خفية من العسكر المهزوم ناجيا بنفسه، وسار مطوفا في البلاد حتى ألقته به عصا التيار في بلاد الجزائر المغرب الأوسط، وتزوج هناك من بلدة قسنطينة². سافر ابن خلدون للمغرب الأقصى بعد وفاة سلطانها، وخلفه ابنه أبو عنان، وسعى ابن خلدون للقائه، فأكرمه السلطان وقادته، وأخذه معه إلى فاس، وعينه عضوا في مجلسه العلمي وكلفه شهود الصولات الخمسة معه، ومازال السلطان يدينه إليه ويرفع من مكانته حتى عينه في العام التالي ضمن كتابه وموقعه³.

فعاود ابن خلدون الدرس والقراءة على العلماء والأدباء الذين كانوا قد نزحوا إليها من الأندلس، ومن تونس وغيرها ومن بلاد المغرب، وسجل أسماء مشايخه الذين أخذ منهم في المغرب يقول ابن خلدون: " وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة، وحصلت منهم على البغية"⁴.

ولم يسلم ابن خلدون في فترة وجوده بالمغرب الأقصى، من بعض المحن والمؤامرات التي لحقت به حيث عانى مرارة السجن لمدة عامين، إثر وشاية بينه وبين السلطان أبي عنان، حيث قال الوشاة، إن ابن خلدون يتعاون سرا مع بعض أعداء السلطان، ولكن ابن خلدون لم ييأس من إنهاء تلك الدسائس والتغلب عليها. واستجلاب محبة السلطان له، حتى بعد أن

(1) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص، 476.

(2) عبقریات ابن خلدون، علي عبد الواحد، دار عالم للكتب، القاهرة، د.ط، 1973، ص، 43.

(3) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مجلد ج7، ص، 477.

(4) المصدر نفسه، ص، 477.

سجن إلى أن تمكن من استدراك عطف السلطان بقصيدة اعتذار وعتاب أرسلها له، بلغت حوالي مائتي بيت¹. فهمس له السلطان ووعد بالإفراج عنه، لكن وافته المنية فبادر وزيره إلى إطلاقه. وأعادته إلى مكانه، لكن لم يدم الأمر طويلا حتى دخل البلاد السلطان أبو سالم، فاستعمل ابن خلدون في كتابة سره، والانشاء بمخاطب وبعث رسائله. ولبت ابن خلدون في وظيفته زهاء عامين ثم ولاه خطة المظالم فأداهم بعدالة وكفاءة².

سفره إلى فاس:

كانت مدينة فاس تعج وتزخر بعلماء المغرب والأندلس، لذا كان اتجاه ابن خلدون نحو المغرب أولا ليصل في نهاية المطاف إلى بلاط المرينيين بفاس سنة 1354م. وقبل وصوله وهو في طريقه إليها، التقى بحاجب وعامل أبي عنان المريني، محمد بن أبي عمرو الذي استضافه عنده. وكان يحكم فاس أثناء وصوله إليها السلطان أبو عنان المريني الذي قربه منه، وضمه إلى مجلسه وعلمائه. وفي عهد المريني أدخل ابن خلدون السجن لسنتين 1357-1358، بسبب اتهامه بالمشاركة في مؤامرة ضد السلطان ولم يخرده من السجن إلا بعد وفاة ساجنه. وبعد وفاة أبي عنان تولى شؤون الدولة بعده الوزير الحسن بن عمر فأطلق سراح ابن خلدون، وأكرمه أحسن إكرام وأعادته إلى منصبه.

رغم أن ابن خلدون طلب الانصراف من فاس إلى بلده، ولكن الوزير التمس منه البقاء، لأن ابن خلدون لم يكن راضيا على الأوضاع السياسية السائدة في عهده لأنها كانت قائمة على تحقيق الأغراض الشخصية، أكثر منها على تحقيق المصالح الاجتماعية، كما أنها لم تكن مبنية على أسس متينة خاضعة لمقاييس عامة وصحيح، وكل ما هناك تنافس بين الأفراد وتسابق على السلطة من أجل تلبية رغبات فردية زائفة، ولهذا بلغت حدا من التدهور، وشقت مسيرة الانحدار، وهذه الأوضاع المزيفة لم تكن ترضي ابن خلدون، ولم

(1) المصدر نفسه، ص، 482

(2) المصدر نفسه، ص، 487.

يطمئن إلى ما كان يجري حوله من أحداث تنذر بمستقبل خطير وغامض، وبعد أن لاحظ ابن خلدون تنكر السلطان لصداقته ومودته السابقة عزم على الرحيل، رغم تمسك السلطان به ومضاعفة إكرامه فتظاهر بالرحيل إلى الأندلس¹.

سفره إلى الأندلس:

كانت رحلته إلى الأندلس سنة 764هـ، حيث كتب ابن خلدون رسالة إلى السلطان محمد ابن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر، ووزيره ابن الخطيب، يخبرهما بقدومه، فرد عليه ابن الخطيب، الكتاب يهنئه بالقدوم ويرحب به عنده وصوله إلى غرناطة بكل حفاوة وترحاب، وضمه السلطان في مجلسه وقربه إليه، وآثره بصحبته وسهراته الخاصة، واختصه في العام التالي لسفارة بينه وبين ملك قشتالة، فأصبح من مستشاريه المقربين يرافه في كل مكان².

سفره إلى إشبيلية:

سافر ابن خلدون أيضا إلى إشبيلية وهي الوطن الأول لابن خلدون، فاستعمله سلطانها محمد بن يوسف بن الأحمر في عقد صلح بينه وبين ملك قشتالة، فنجح ابن خلدون في مهمته، وأدى عمله بإتقان كبير، وقد طلب منه ملك قشتالة البقاء عنده، ووعد به بأن يرد إليه أمواله وأسرته بإشبيلية، لكن ابن خلدون اعتذر عن ذلك بأمر قبلها منه الملك، وسمح له بالعودة وقد كافأه السلطان فأعطاه قطاعات واسعة، فازداد رزقه، وتحسنت أحواله، واستأذن في استقدام أهله. فأمر السلطان قائد الأسطول بأن يأتي بهم، وعاش ابن خلدون أشهر بعد ذلك مع أسرته في رغد وطمأنينة من العيش³. ثم لم يلبث الأعداء وأهل الوشايات

(1) التفكير الاجتماعي الخلدوني، إدريس خضير، دار النشر، 2007، دبت، ص 20-21.

(2) المصدر نفسه، ص، 22-23.

(3) تاريخ العالمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، دار الكتاب اللبناني. م7، دط، بيروت، 1983، ص، 490-495.

أن خيلوا للوزير – ابن الخطيب – أن ابن خلدون قد يأخذ مكانته فتنكر له الوزير وشعر ابن خلدون انقباض الوزير له، وما لبث أن جاء خطاب من السلطان أبي عبر الله أمير بجاية، بأنه استولى عليها في رمضان، ويطلبه الحضور، فاستأذن من السلطان ابن الأحمر، فأذن له، وكتب له خطابا إلى أمير بجاية والوصاية والدعاية له¹.

سفره إلى بجاية:

وصل ابن خلدون إلى بجاية واستقبله أميرها وأهلها استقبالا حافلا، و ولاية الحجابة وكان منصب الحجابة أعلى منصب في الدولة عندهم، يقول ابن خلدون: "فأصبحت من الغد، وقد أصبح السلطان أهل الدولة بمبارحة البابا، واستعلت بحمل ملطه واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه، وقد مني للخطابة بجامع القصبه، وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك عنوة إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبه لا أنفك عن ذلك"². ولكن لم يلبث أن حصل نزاع بين أمير بجاية وابن عمه أبي العباس أحمد صاحب قسطنطينة فتقابلا، فانهزم أمير بجاية، وقتله أبو العباس، والتقى ابن خلدون بالسلطان أبي العباس، فأكرمه وأبقاه على الحجابة زمنا ثم شك في إخلاصه فتنكر له. استأذن ابن خلدون في الانصراف إلى أحد الأحياء فأذن له، فذهب إلى بسكرة، ثم جاء خطاب الأمير – أبي حمو – سلطان تلمسان بالمغرب الأوسط يدعوه فيه للقدوم إليه، ويعده بمنصب الحجابة الوزارة والخير والانعام والاعتناء والتكريم، لكنه أثر الرفض والعزوف عن شؤون السياسة، ورجب الرجوع إلى المطالعة والدرس³.

وبقي ابن خلدون في بسكرة حيث قضى هذه الفترة بعيدا عن المناصب والوظائف عاكفا على طلب العلم والتأليف.

(1) المصدر السابق ذكره، ص، 496-497.

(2) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ص، 500.

(3) المصدر نفسه، ص، 502 - 502.

رحلته إلى الأندلس ثم عودته إلى البحث والكتابة:

عزم ابن خلدون الرحيل إلى الأندلس مرة أخرى، حيث ترك أسرته بفاس، ونزل بـغرناطة، في ضيافة سلطانه ابن الأحمر، ومكث عنده مدة وجيزة، ثم رجع إلى المغرب، ونزل بقصر أبي بكر بن عريف، يعتبر من أجمل القصور في جبل كزول، في قلعة ابن سلامة، التي تقع جنوب فرندة والتي تبعد عنها بثلاثة أميال وتعرف هذه المنطقة التي تقع فيها القلعة – تغزوت – فأقام عندهم هو وأسرته مدة من الزمن لا تتجاوز أربع سنوات، رغم عدم توفر الإمكانات اللازمة من مكاتب ومصادر وعلماء، ولكنه حمدها لابتعاده عن الجو السياسي المشحون بالمكائد والاضطرابات، ووجود الراحة والطمأنينة، التي تمكنه من التفرغ إلى البحث، فشرع في تأليف كتابه في التاريخ المسمى بـ "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر"، حتى أكمله وغيره من الكتب وكان الوقت قد حان كتابه لأحداث والوقائع السياسية والعلمية، مقارنة لها ومحللا على ضوء الكتاب والسنة¹.

رحلته إلى مصر:

استأذن ابن خلدون من السلطان ابن العباس أحمد، أن يسمح له بأداء فريضة الحج، وما زال به حتى أذن له فخرج إلى مرسى سفينته في حفل حاشد من الأعيان، والأصدقاء والتلاميذ، مودعا بمظاهر الأسى والفرح، فركب البحر، ووصل بحمد الله – إلى الإسكندرية، وقد أقام بها شهرا يهيئ العدة للحج، ولم تتح له فرصة السفر إلى مكة فانتقل إلى القاهرة في أول ذي القعدة².

توليه كرسي الحديث:

ولى السلطان المملوك برقوق عبد الرحمن ابن خلدون منصب شيخ الحديث، وهو ما يسمى عندهم بلقب – كرسي الحديث – بمدرسة صرغتمش، فقرّر أن يبدأ بتدريس كتاب الموطأ

(1) ينظر: ابن خلدون فقيه، هاني محمد أبو شنب، ص، 8.

(2) ينظر: تاريخ العلامة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، ص، 560.

للإمام مالك، وبعد ثلاثة أشهر من توليه كرسي الحديث أضاف إليه السلطان وظيفة شيخ بيت الحلقاء، وهي مساكن الزهاد والفقراء وأهل التصوف، والإشراف على الأوقات والأربطة الأراضي الزراعية التابعة لهم.

توليه منصب القضاء للمرة الثانية في مصر:

عين ابن خلدون للمرة الثانية قاضياً للقضاة المالكية وفي تلك السنة توفي الظاهر برفوق، وخلفه ابنه "الناصر فرج" فأبقى لابن خلدون منصب القضاء¹. بنى ابن خلدون يعتلي منصب قاضي القضاة بالقاهرة خمس مرات زيادة على الوظائف الأخرى التي كان يشغلها، وخاصة التدريس بالأزهر، وبعض المدارس الرسمية، كما رأينا آنفاً، وهو لا يفتك عن البحث والتأليف مهما تعددت وظائفه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حيويته ونشاطه، وظل يواصل عمله ويعارك الحياة في مختلف الجهات والميادين بدون كلل أو ملل، بإرادة قوية، وعزيمة فولاذية، وصبر عظيم. لأنه كان يرى أن الحياة كفاح، متواصل وجهاً ومستمر لا ينقطع إلا بانقطاع صاحبه، فاستمرت شعلته الوهاجة على هذا الحال.

سفره إلى فلسطين:

لما تولى السلطان "الناصر فرج" الحكم استأذنه ابن خلدون في زيارة بيت المقدس. فأذن له، فزار المسجد الأقصى، ومدينة الخليل، ثم زار بيت لحم، ثم رجع إلى مصر، فوجد نائبه على القضاء - نور الدين الخليل - قد حرضوه على السعي للمنصب، فسعى إلى خلع ابن خلدون بتحريض من أعدائه وحاسديه، ونجح في ذلك، ورجع ابن خلدون من حينه للتدريس والتأليف².

ولكن ابن خلدون عاد إلى مصر مرة أخرى فولي القضاء للمرة الثالثة، ثم عزل ثم أعادة السلطان للمرة الرابعة، قال ابن حجر: "وفي رمضان استقر القاضي وليّ ابن خلدون في

(1) ينظر: تاريخ العلامة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، ص، 560.

(2) ينظر: تاريخ العلامة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، ص، 611.

قضاء المالكية عوضاً عن السباطي، ثم لم ينشب ابن خلدون أن مات...¹ قال السخاوي: "وعزل ثم أعيد، وتكرر ذلك حتى مات قاضياً - فجأة - في يوم الأربعاء بقين من رمضان، سنة ثمان وثمانمائة عن ست وسبعين سنة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر، عفا الله عنه"².

مؤلفاته وآثاره:

إن ابن خلدون كان موسوعة علمية، وكتبة متنقلة، وأستاذاً متجولاً، فدرس وأفاد بلدان ومراكز علم، وتنقل بين جوامعها ومساجدها وحلقاتها العلمية، فكان الطلبة من كل حدب وصوب ينتالون عليه يلتفون حوله، ويقبلون على حلقاته، منذ بدايته الأولى في جامع الزيتونة مروراً بجامع القصبه والقرويين، والعباد مروراً بقرنطة، قبل أن يستقر به المقام في نهاية الأمر بالأزهر³.

كان ابن خلدون شاباً لم يتجاوز العشرين، وفي أوج طموحه السياسية، وما يحيط بها من دسائس ومكائد، وما تحيكه القصور من حولها، كل هذا يمكنه من البدء مبكراً في التأليف والتدوين فطرة وهو ما زال شاباً يافعاً، وكأن طلب العلم والتعليم، والتأليف والتدوين فطرة عند ابن خلدون، ولم يتخلى عنها، ولم يشغله عنه شاغل، وبدأ ابن خلدون التأليف والتدوين وهو ابن العشرين من عمره⁴. واستمر على ذلك في حياة حافلة بالتأليف والتدوين، وأهم مؤلفاته حسب ترتيبها الزمني تقريباً وهي:

1- كتاب لباب " المحصل " في أصول الدين:

- (1) أبناء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المجلس الأعلى للشؤون الدينية، ج5، د.ط، 1389، ص، 295-296.
- (2) الضوء اللامع، عثمان بن محمد السخاوي، دار النشر القدسي، مج2، ج4، القاهرة، د.ط، 1934، ص، 146.
- (3) ينظر: مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة، ابن إبراهيم الطيب، مؤسسة الإخوة مدني، د.ت، ص، 25.
- (4) ينظر: المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، ص، 19.

كتاب المحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء المتكلمين¹ كتبه فخر الدين محمد بن عمر بن الرازي المعروف بابن الخطيب وهو من كتبه المهمة جعله كما قال في مقدمته "مختصرا في علم الكلام، مشتملا على أحكام الأصول والقواعد دون التفاريع الزوائف". وقد كسره على ثلاث مقدمات وأربعة أركان، مع ما يتفرع عن ذلك من مسائل تتناول الأمور الرئيسية في أصول الدين.

وقد اشتهر هذا الكتاب في المشرق والمغرب على السواء، فتداوله العلماء المشتغلون بأصول الدين وأكثروا مدارسته وتدريسه للطلاب، وتناولوه بالنقد أو التلخيص أو كليهما معا، وقد فرغ ابن خلدون من تأليفه كتابه "الباب المحصل" في التاسع والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، كما نصّ هو على ذلك في آخر مخطوط الأوسكوريال، وقد كان سنة عند تأليفه تسع عشرة سنة وستة أشهر وهو من أوائل مؤلفاته ولم يبقى هذا الكتاب غير مخطوطة وجيدة، وهي بخط المؤلف نفسه وهي محفوظة بمكتبة الأوسكوريال في مدريد².

2- كتاب شرح البردة للبوصيري:

قال ابن الخطيب في تعداد مؤلفات ابن خلدون "شرح البردة شرحا بديعا دل به انفساح درعه، وتفنن إدراكه ، وغزارة حفظه"³.

3- كتاب تقييد في المنطق ونقده.

4- كتاب مختصرات حول أعمال ابن رشد:

(1) المخطوط الأوسكوريال، برقم 65، ج6، دار الكتب المصرية، ط1، ص،105.

(2) ينظر: مؤلفات ابن خلدون، عبد الرحمن بدوي، ص، 33-35-37.

(3) ينظر: مؤلفات ابن خلدون، عبد الرحمن بدوي، ص،41.

قال ابن الخطيب: "ولخص ابن خلدون كثيرا من كتب ابن رشد¹. واختلف العلماء في هذه المذكرات أو الملخصات، فراجع الدكتور علي الواحد عبد الواحد في الكتب الفقهية منها، مثل كتاب المقدمات الممهدة لابن رش الجداد كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد، وإن كان مهتما بالطب والفلسفة، وله فيها تصانيف²، والأمر ليس كذلك فإن ابن خلدون لخص كثير من كتبه.

5- كتاب الحساب.

6- كتاب شرح الرجز في أصول الفقه:

قال ابن خلدون: "قد شرع في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية وراءه في الكمال"³.

7- كتاب تذكير السهوان:

رسالة في شرح حديث روته أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بؤس العبد عبد تخيل، واختال ونسي لكبير المتعال⁴ وقد ورد ذكر هذه الرسالة في كتابه، (مزيل الملائم عن أحكام الأنام).

8- كتاب شفاء السائل في تهذيب المسائل:

وهو كتاب خاص بالكلام عن التصوف، لدينا من هذا الكتاب نسخة في ملك أبي بكر التطواني الكتبي فيصلاة بالمغرب، وفي سنة 1949 صدرت دار الكتاب المصرية هذه النسخة وهذ المصورة توجد في دار الكتب، ويتألف المخطوط من 78 ورقة تسبقها ورقة

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب الأندلسي، مكتبة الخانجي، ج3، القاهرة، ط1، 1975، ص، 507

(2) ينظر: عبقریات ابن خلدون، علي الواحد، ص، 151.

(3) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب الأندلسي، الإحاطة، ص، 507

(4) رواه الترميذي في جامعه الصحيح، سنن الترميذي، ج4، ص، 545.

وتلحق بها ورقة في الأولى منهما تحميد وبعض أية الكرسي، وفي الأخير بيتان من الشعر¹.

9- كتاب وصف بلاد المغرب لتيمورلنك.

10- كتاب تعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا.

11- كتاب أخبار دولة بني الأغلب بإفريقيا.

12- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر:

وقد اشتهر عند الناس بتاريخ ابن خلدون، ويشمل على مقدمة فريدة من نوعها، وضع فيها الأسس والأركان المهمة لإرساء دعائم الدولة واستمرارها، ويقع في سبعة مجلدات ضخمة، وكل مجلد يحتوي على 1300 صفحة بالنسبة للطبعة اللبنانية، يعرف المجلد الأول "بالمقدمة" والتي تجلت فيها عبقريته وتتضمن الدراسات المنهجية ودراسة علم الاجتماع وهو المؤسس الأول لها، وهي في الحقيقة عبارة عن دائرة المعارف يتحدث فيها عن كل فن وأعظم ما جادت به قريحته وموهبته في الحقل العلمي.

أما المجلد الثاني يتحدث فيه عن تاريخ العرب منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد أي عهد ابن خلدون وعن الأمم التي عاصرها كالسريانيين والنبط الكدانيين، والقبط الفرس وبني إسرائيل واليونان والروم والإفرنجية، والإمام بأخبار دولهم والكلام على أمم العالم وأنسابهم على الجملة، وكيفية أوضاع الأنساب.

أما المجلد الثالث خصه لتاريخ دولتي الأمويين والعباسيين.

(1) مؤلفات ابن خلدون، عبد الرحمن بدوي، ص، 41.

أما المجلد الرابع خصصه بتاريخ دولة العلويين، والمجلد الخامس يتعرض فيه لتاريخ الإسلام في عهد الأتراك من بداية حكمهم إلى عصره. المجلد السادس يتناول فيه تاريخ المغرب العربي وبطون العرب النازحين.

أما المجلد الأخير السابع يتحدث فيه عن تاريخ المغرب العربي والأندلس من قبل الإسلام إلى عهده، وضم إليه حياته تحت عنوان "التعريف بابن خلدون وتحوي حياته على 421 صفحة.

التعريف بكتاب ابن خلدون: هذا كتاب خاص بحياته، ويعتبر أو كتاب في الميدان العلمي يقوم فيه المؤلف بتدوين حياته بنفسه بالتفصيل، صدر هذا الكتاب اللبناني، وحسبما ورد في دراسة عبد الواحد وافي لابن خلدون أن هناك نسخة أخرى تتعلق بحياته تستوعبها أكثر من هذه النسخة¹.

13- المقدمة:

بدأ ابن خلدون في كتابه مقدمته في قلعة بني سلامة بالقرب من فرندة الجزائرية سنة 1375م، واستغرقت مدة خلوته هناك أربع سنوات، " شرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة"² لقد كانت المقدمة موسوعة شاملة بها: "الجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا البشرية، والاقتصادية، السياسي والبيان والتربوية، والكيمياء القديمة والسحر، والفقه والفنون، والصنائع، الأدب، والعلوم اللسانية، والجبر والهندسة، والطب والفن المعماري، وتنظيم المدن والفلاحة، والفن العسكري، وعلم الكلام...."³.

(1) التفكير الاجتماعي الخلدوني، إدريس خضير، 2007، د.ط، ص60-61.

(2) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، م7، ص، 1040.

(3) التفكير الاجتماعي الخلدوني، إدريس خضير، ص63.

تتوضح نقاط المقدمة الأساسية في عنوانها فكلمة مقدمة: هي عبارة متعددة المعاني كثيرا وميدان دلالاتها يمتد على نطاق واسع ليشمل ضمنه عددا مختلفا من النظم المفاهيمية مثلما يتبين ذلك بشكل واضح المعالجات الواسعة المدى في الأعمال الموسوعية التي كتبت عن العلوم العربية والإسلامية، وهي مقدمة بأوسع وأشمل المعاني هذه الكلمة إنه بحث تمهيدي حسب الفهم الأدبي العام للمصطلح، وهو بداية عمل بأي معنى يمكنك فيه استخدام كلمة بداية أي أداة بارعة حسب الاستخدام الزخرفي الأدبي الخالص، والأهم من ذلك وبصورة أشد من أجل التمشي مع المقدمة ابن خلدون هو أن المصطلح يأخذ معنى البداية النصي.

المبحث الأول: التعريف بالمقدمة.

1- كتاب المقدمة: هو كتاب ألفه ابن خلدون سنة 1377م كمقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم كتاب العبر، وقد اعتبرت المقدمة لاحقا مؤلفا منفصلا ذات طابع موسوعي إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة، والتاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والعمران والاجتماع، والسياسة، والطب، وقد تناول فيه أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان. كما تناول بالدراسة تطور الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب إنهارها مرتكزا في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار حتى اعتبر مؤسسا لعلم الاجتماع، سابقا بذلك الفيلسوف أوغست كونت¹. وقد احتلت هذه المقدمة مكانة مرموقة بين منظومة المؤلفات العربية لأنها تحوي خلاصة الفكر الخلدوني في مسألة الاجتماع الإنساني، وتشير إلى أن فكر ابن خلدون لم يكن انتقائي تليفي، بل كان فكرا موسوعيا نقديا، وقد تضمنت نسيج المعارف المتضافرة في تشكيل الظاهرة العمرانية².

2- سبب التسمية:

ابن خلدون سمى الكتاب كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فهذا الكتاب يتكون من سبعة أجزاء والجزء الثامن للفهارس، وهو عبارة عن محاولة إسلامية لفهم التاريخ العالمي ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم المجتمع، وقد ترجع العديد من اللغات الحية، وعليه ترتكز مكانة ابن خلدون وشهرته، ولئن كان مسعى ابن خلدون من المقدمة وهي الجزء الأول من كتاب العبر، كونه أخذ في مقدمته من كل علم بطرق، فتحدث عن كل ما يخص الإنسان من

(1) أوغست كونت: فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي، ذو نزعة وضعية، يعتبر مؤسس علم جديد سماه في البداية الفيزيقا الاجتماعية، ثم أطلق عليه اسم "علم الاجتماع".

(2) ينظر: المقدمة، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ط1، دار صادر، بيروت، سنة 2000.

محتويات وماديات، داعما ما ذهب إليه من آراء بشواهد من القرآن الكريم وديوان العرب الشعري، ونظرا لمكانتها العلمية فقد حظيت المقدمة منذ أو وقعت عليها الأنظار بعناية المفكرين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والفلاسفة واللغويين عربا ومستشرقين. كما طبعت عدة مرات بتحقيقات مختلفة، لكن كتاب العبر عرف بعد ذلك بالمقدم، لأن مقدمة الكتاب أكبر حجما من المضمون.

3- المكان الذي كتب فيه ابن خلدون مقدمته:

إن جل الدراسات الخلدونية لا تعير اهتماما للمكان الذي سجل فيه ابن خلدون أفكاره في التاريخ، كما أن الحظ لم يحالف العديد من المهتمين بالشأن الخلدوني في تحديد موقع بني سلامة، ويسعى كاتب المقال للتعريف بمكان هذه القلعة وكيف أثرت في كاتب المقدمة، وما هي العوامل التي دفعته إلى انجازه، ولماذا فكر أصلا في كتابتها. قلعة بني سلامة المعروفة بتوغزوت على بعد ستة كيلومترات من مدينة فرندة بالغرب الجزائري.

أما عن الفترة التي قضاها ابن خلدون في تأليف مقدمته، فنجد الجابري يطرح أسئلة بالغة الأهمية تتعلق بالفترة الزمنية التي قضاها لتأليف مقدمته وتاريخه. فاستنادا إلى كلام ابن خلدون نفسه، فقد قضى أربع سنوات في القلعة 776هـ ثم يقول أنه ألف مقدمته ف خمسة أشهر آخرها منتصف عام 779هـ / 1378م، ثم كتب تاريخه في أقل من سنة، مرض خلالها مرضا شديدا، ويسأل أي قبل عام من مغادرته القلعة ماذا كان يفعل في الفترة الممتدة ما بين وصوله القلعة وشروعه في المقدمة ومدتها. فيقول الجابري، عامان ونصف ثم يسأل: كيف أمكن ابن خلدون أن يكتب مقدمته على ما هي عليه من التركيز والإبداع والإحاطة والشمول في خمسة أشهر، ثم كيف أمكنه أن يشرع في كتابة التاريخ، ويملي الكثير من حفظه حول أخبار العرب والبربر، خلال سنة واحدة وهي نفسها التي مرض فيها

مرضا شديدا ثم أكد الجابري أن هذه الأشهر الخمسة غير كافية لتأليف المقدمة كذلك السنة التي تلت هذه الأشهر الخمسة غير كافية لكتابة تاريخه.

ويستنتج أو آراء ابن خلدون: "المسطورة في المقدمة لم تكن وليدة ساعتها" فهو بدأ يفكر فيما قيل قرار التحاقه بالقلعة سنوات كثيرة وخصوصا منذ انقطاعه إلى بسكرة عند ابن مزين.

بين ابن خلدون السبب الذي من أجله صنف كتابه ألا وهو كم لما رأى القصص الواهية في كتب التاريخ أراد أن يأسس قانونا يزن به الأخبار وأن يبين أخطاء المؤرخين وأن يبدي عللا وأسبابا ويظهر من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية. ويعرف القارئ، كيف ظهرت الدول وكيف سقطت، حتى لا يقف القارئ حائرا ومقلدا وفي هذا يقول ابن خلدون: "فلا تثقن بما يلقي إليك من ذلك، وتأمل الأخبار وأعراضها على القوانين الصحيحة لم يقع تمحيصها بأحسن وجه، والله الهادي إلى الصواب"¹.

4- الدافع لتأليف الكتاب:

وفي مقدمة الكتاب، نجد مقطعا يتحدث عن الدافع لتأليف الكتاب يقول فيه أن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركاب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال... إذا هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتؤدي إليه شأن الخليفة كي تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال... وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها، واقتفى تلك الآثار البشر ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها.

(1) ينظر: المقدمة، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ط1، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1.

وهذا وقد دون الناس في الأخبار وأكثروا وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشعرة والأمانة المعتبرة قليلون لا يكادون يتجاوزون عدد الأنامل: مثل ابن اسحاق، والطبري وابن الكلبي... وأكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الإسلام في الآفاق والممالك من وهؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم كالمسعودي ومن نحا منحاه.

وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، فقيد شوارد عصره واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها. ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلدا وبليدا الطبع والعقل، ينسج على ذلك المنوال ويعتدي منه بالمثل، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال، فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأولى... يكررون في موضوعاتها الأخبار المتداولة، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها، فتستعجم صحفهم عن بيانها، ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا، محافظين على نقلها وهما... أو صدقا. لا يتعرضون لبدايتها، ولا يذكرون السبب الذي رفع رايتها ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والأمصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار، وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولما طالعت كتب القوم، وسبرت غور الأمس واليوم، نبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم، فأنشأت في التاريخ كتابا، دفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا، وأبدت فيه لأولية الأول والعمران عللا وأسبابا، وبنيت على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار، وما كان لهم من الدول الطوال والقصار، ومن سلف لهم من الملوك والأنصار، وهو العرب والبربر، إذ هما الجيلان اللذان عرف بالمغرب مأواها¹.

(1) المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، ص، 554.

المبحث الثاني: لغة المقدمة.

وإذا كانت المقدمة – كما رأينا – مختصرة لثقافة ابن خلدون وتجربة الطويلة في العلوم والسياسة والاجتماع، فلا شك في أن لغتها تعكس شخصيته العلمية وتختصر في دلالتها وأسلوبها لغة عصره. وقد وعى ابن خلدون أهمية اللغة منذ بدايات هذه التجربة، فكانت لغته أحد العوامل التي أسهمت في ارتقائه إلى المراتب العليا في السلطة السياسية على مدى يزيد عن ربع قرن. وتجلّى وعيه هذا في قضيته من أهم قضاياها، هي قضية الايصال، إذ حرص على أن تراعي اللغة ميول أهل العصر، وما تعولّ عليه قرائحهم، فأعاد لباب المحصل مراعيًا لغة عصره هو وقال في هذا الموضوع: "...فوجدنه (وطريق) أي المحصل كتابا احتوى على مذهب كل فريق وأخذ في تحقيقه كل مسلك وطريق، إلا أن فيه إسهابا لا تميل هم أهل العصر إليه، وإطنابا لا تعول قرائحهم عليه فرأيت بعون الله تعالى – أن أحذف من ألفاظه ما يستغني عنه، وأترك منها ملا بد منه..."¹.

واللغة هي، كما تعارف ابن خلدون وأبناء عصره، "عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"² ولما كانت مقاصد الكلام تتغير بتغير الموضوعات وجب أن تتغير عبارة المتكلم أيضا. وهكذا فإن لغة الخطاب الأدبي تختلف عن تلك التي للعلوم، ولغة الخطاب في العلوم الشرعية تختلف عنها في العلوم العقلية، ولغة الخطاب في كل علم من العلوم العقلية تختلف عن غيرها بحسب اختلاف العلوم في ما بينها، وهذا يعني أن على المقدمة أن تراعي طبيعة الموضوعات التي تعالجها وأن تتلاءم مع التاريخ والعمران خاصة فيك طون الأول- من منظار صاحب المقدمة – علما جديبان يعد في الحكمة³. وفي كون الثاني علما مستنبطا للنشأة، الكلام فيه مستحدث الصنعة ليس

(1) ينظر باب المحصل، ابن خلدون، ط1، ص،3.

(2) المقدمة تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ص، 1056.

(3) المرجع السابق، ص،3

من علم الخطابة ولا هو من علم السياسة المدنية¹. ومن المعروف أن ابن خلدون كان يكتب لأبناء القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي فعليه - لهذا - يراعي ما يحدث للألفاظ والتراكيب من تطور في مدلولاتها. وقد وعى هذه المسألة وأشار إليها في إطار معالجته مغالط الآخرين بقوله: "ومن هذا الباب أيضا ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ إذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة والحروب وقواد العساكر، فتترامى بهم وساوس الهمم إلى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل... ولا يتفطنون لما وقع في خطة القضاء من مخاللة العوائد"².

فبأي لغة عبر ابن خلدون عن مقاصده؟؟ فكيف استطاع تطويع الألفاظ والتراكيب للتعبير عن موضوع علمي كموضوع العمران وهو من يقدم نفسه على أنه "سنّ بكره وجهينة خبره"³.

وقد يتوهم القارئ - للوهلة الأولى - أن ابن خلدون لم يخرج على أسلوب السجع الذي وسم الكتابة العربية بوسمه منذ القرن الرابع الهجري، فضلا عن أهل المغرب كانوا - في عصره - "يختصون به من دون غيرهم لولوعهم بتزين الألفاظ، ولسهولة مآخذ البديع وصعوبة مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيهما"⁴. وهو مقتبس من معنى الآية: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)⁵ وهذا المنحى في الاستنجاد بالدين لتبرير اختيار الموضوع كان مألوفاً في المؤلفات العربية. ثم إنه يحدد أبواب كتابه على عادة المؤرخين، ولاسيما المسعودي.

(1) المرجع نفسه ص، 62-63.

(2) ينظر: المقدمة، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، ص، 49.

(3) المصدر نفسه، ص، 66.

(4) ينظر المقدمة، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، ص، 1.

(5) سورة هود الآية 61.

وإذا كان السجع لا يفارق هذه الخطبة فلأن ابن خلدون لم يستطيع الخروج على ما هو مألوف فضلا على أن السجع قد يسعفه في تحقيق مراده من تقريب الموضوع إلى ذهن القارئ وإقناعه بالتفاعل الإيجابي مع موضوع جديد كعلم العمران. ولكن هذا الوهم سرعان ما يتبدد حينما ينتهي القارئ من الصفحات المعدودة التي تتخذ خطبة "العبر". فما أن يبدأ بقراءة أبواب المقدمة حتى يجد لوحة معاكسة تماما للصورة الأولى، إذ يكاد الأسلوب هنا يخلو من البديع لولا بعض المحسنات من مثل الطباق الذي ورد عفو خاطر خاليا من الصناعة والتكلف، ومرد ذلك إلى علمية موضوع العمران، فالألفاظ دقيقة في معانيها ودلالاتها، ولا يمكن - بالتالي - التلاعب بالتراكيب لمصلحة السجعخوفا من الإخلال بالمعاني، ولهذا يصبح السجع عاجزا عن الوفاء لمقاصد ابن خلدون، الأمر الذي يفرض عليه القيام بنقطة نوعية في أسلوبه، واختيار أسلوب أقدر من السجع على السماح للألفاظ والتراكيب بالتعبير عن مقاصده للوصول إلى غايته في الإبلاغ.

وأول ما نلاحظه أن ابن خلدون حدد الفكرة الرئيسية للمقدم. قبل الدخول في بحث التفاصيل الجزئية بقوله: "ونحن الآن نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب بالعلوم والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة، وتدفع بها الأوهام وترفع الشكوك"¹، ثم إنه قسم هذه الفكرة الرئيسية إلى أفكار جزئية على طريقة الأبواب والفصول، فجعل كل باب من الأبواب الستة موضوعا خاصا يحدد عنوانه ولكنه قسمه إلى مسائل عاجلها بطرق مختلفة، فهناك بعض المسائل التي عولجت في فصول مستقلة من مثل مسألة الحرب التي عُولجت في فصل عنوانه: "فصل في الحرب ومذاهب الأمم في ترتيبها"، إذ يستطيع الباحث أن يكون ذكره عامة في آراء ابن خلدون في الحرب من خلال هذا الفصل وحده. وهناك بعض المسائل التي جعل كل واحدة منها موضوعا لفصول عديدة، يبحث في كل فصل ناحية من نواحي المسألة،

(1) ينظر: المقدمة، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ص، 67.

ومن مثل ذلك مسألة "الدولة والملك" التي جعلها موضوعا لفصول مختلفة وبحث في كل فصل جزءا من المسألة العامة ولكن هذه الأجزاء شكلت بحد ذاتها موضوعات مترابطة تصب جميعها في الفكرة الرئيسية.

وإذا كانت هذه المرتبة في تحديد الفكرة المعنية وبحثها في فصل واحد أو في فصول مختلفة، وهي من مميزات الأسلوب العلمي، فإن ابن خلدون تطرق إلى بعض المسائل في فصول مختلفة، فكان يمرر رأيا نها ورأيا هناك، الأمر الذي يجعل التعرف إلى آرائه فيها صعبا نسبيا لأن مثل ذلك يتطلب التنقيب في عدد كبير من فصول المقدمة، ويستوجب أحيانا استعراض جميع مباحثها، وهذا ما نجده في مسألة "الفسر الاجتماعي" مثلا إذا لم يفرد بها فصلا خاصا، ولكنه عرض إليها في مواضيع مختلفة عن المقدمة، ومع ذلك فإن هذا الأسلوب الأخير لا يبدو معيبا في مقدمة ابن خلدون.

المبحث الثالث: أبواب المقدمة.

قال ابن خلدون في تصدير كتاب "العبر": "فأنشأت في التاريخ كتابا... وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا، وأبديت فيه الأولية والعمران عللا وأسبابا... وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار". وملاً أكناف النواحي والأمصار، وما كان لهم من الدول والطوال والقصار ومن سلف من الملوك والأنصار، وهو العرب والبربر... وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا، واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا، وطريقة مبتدعة وأسلوبا وشرحت فيه أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية، وما يمتنع بعلى الكون وأسبابها، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها، حتى تنزع من التقليد وتقف على أحوال ما قبلك وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب.

- المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها.

- الكتاب الأول: في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلى والأسباب.

- الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليفة إلى هذا العهد وفيه الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم والمشاهير ودولهم ن النبط والسريانيين والفرس وبني إسرائيل والقبط واليونان والترك والإفرنجة.

- الكتاب الثالث: في أخبار البربر ومن إليهم من زناتة، وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم يد بالمغرب خاصة من الملك والدول¹.

(1) ينظر: المقدمة، من تأليف عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، سنة 1986، ص، 14.

ويتضح من هذا النص أن ابن خلدون ألف كتابا في التاريخ بناه على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب وهم العرب والبربر، ومن الطبيعي أنه قدم لكتابه بمقدمة في فضل علم التاريخ، ولكنه خرج على المفهوم التقليدي للتاريخ الذي رأى فيه أنه لم يزد عن الإخبار عن الحوادث، إلى مفهوم العلم بكيفيات الوقائع وأسبابها. ولهذا كان لا يدلّه من ولوج باب العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية، ذلك أن حقيقة التاريخ، حسبما يقرر ابن خلدون: "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصيات وأضاف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها. وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم، والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال".¹

فالخبر عنده، خرج عن كونه خبرا عن الأحداث، وأصبح خبرا عن الاجتماع الإنساني، ولمعرفة حقيقة هذا الخبر وجبت معرفة حقيقة المخبر عنه وهو الاجتماع الإنساني، وحقيقة ما يعرض له من أحوال ذلك أن ذكر الأحوال العامة هو: "اس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده"². وهذه المقاصد ليست ف نظر ابن خلدون سوي "تميز الحق من الباطل في الإخبار، والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه"³.

ولكن العمران عند صاحب "العبر" يختلف عنه عند الجمهور، إنه "علم" فهو يقول: "وكأنه علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري، والاجتماع الإنساني وذو مسائل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض، والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى. وهذا شأن كل علم من العلم وضعيا كان أو عقليا"⁴. وهو فوق ذلك "علم مستنبط النشأة"، ومن هنا يقرر

(1) ينظر: الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، لعلي أومليلي، ط4، سنة 2005.

(2) المصدر نفسه، ص، 52.

(3) المصدر نفسه، ص، 62.

(4) الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عن ابن خلدون، د. حسن أسماعيل، ط1، سنة 2007.

أن الكلام في هذا الغرض "مستحدث الصنعة، غريب الترخة غزير الفائدة، أغدر عليه البحث، ويقودنا هذا الكلام على علم العمران إلى قارة جديدة من المعرفة، افتتحها ابن خلدون ولمن بعدها لأحد ممن سبقه، ولذلك لا نستغرب أن يمعد لقارئه - شأنه شأن ذي عالم يضع علما جديد - بعدد من المصطلحات والمفاهيم التي تدخل في عملية تكوينه كعلم. وهذا المفاهيم والمصطلحات ستتشكل في دلالاتها الحضارية محور دراستنا في الفصول.

ولو عدنا إلى الكتاب الأول لأفينا في أبوابه الستة، عبارة عن تمهيدات ومقدمات لعلم العمران، فالباب الأول يتكون حصرا من مقدمات تتعلق بالعمران البشري على الجملة وقسط العمران من الأرض وتحديد الأقاليم الجغرافية، وتأثير اعتدال الأقاليم وتأثير الهواء على التوزيع السكاني وعلى اختلاف البشر، واختلاف أحوال العمران تبعا للخصب والجوع، وأصناف المدركين للغيب من مثل الأنبياء والكهنة.

أولا: نتحدث عن الباب الأول: الذي يتعلق بالعمران البشري، فابن خلدون يناقشه بشكل عام مبينا أثر البيئة في البشر وهو ما يدخل حاليا في علم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ويتطرق لأنواع العمران البشري تبعا لنمط حياة البشر وأساليبهم الإنتاجية. يستعمل ابن خلدون هذه الكلمة في معنيين الأولى للدلالة على " المجتمع الحضري" والعمران لهذا المعنى، لا ينفصل حسب رأيه عن الدولة فـ" الدولة" دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذرا". أو أيضا بعبارات أرسطو طاليسية "الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة"¹.

بناء على هذا الاستعمال للكلمة فحيث لا توجد دولة لا يوجد عمران، كما في المجتمعات "البادية" مثلا. غير أن المعنى الأكثر رواجاً لكلمة "عمران" هو المعنى الأشمل الذي يدل على المجتمع الإنساني عامة، حيث العمران يناقض "الفقر". أي المكان الذي لا أثر فيه لحياة اجتماعية إنسانية. صحيح أن الكاتب يستعمل كلمة "فقر" و "فقار" للتحدث عن البدو،

(1) المصدر نفسه، ص، 376.

غير أن المجتمع الوحشي بالرغم من كونه طبيعياً، ليس تام الإنسانية لأنه يفتقر إلى عنصر السياسة مثلاً.

فالعمران بهذا المعنى – وهو المعنى الأساسي – هو الموضوع الكتاب الأول من دون العبر، أي المقدمة، التي تحمل العنوان التالي: "الكتاب الأول في طبيعة العمران"، حيث تدرس المقدمة إذن المجتمع الإنساني وقوانينه، لذا قيل عنها أنها دراسة سوسيولوجية وقيل عن كاتبها أنه "مؤسس علم السوسيولوجيا، هنا ينبغي التدقيق، فبدلاً من القبول بهذا التفسير سوف نحاول على العكس تحليل المعنى الحقيقي للعمران حسب ابن خلدون، كي نصل إلى رؤية واضحة عن علم العمران: هل هو السوسيولوجيا نفسها أو هو شيء آخر؟ وكل ذلك من أجل تجنب الالتباس بين العصور والأفكار، وإن نقطة انطلاق علم العمران عند ابن خلدون لا صلة لها بتلك التي بدأ منها علم الاجتماع، على الشكل الذي تبلور فيه كعلم منذ أواسط القرن 19. لأن العمران كمفهوم إسلامي لا يتناسب مع مفهوم المجتمع كما تم استعماله منذ الثورة البرجوازية في الغرب. ذلك أن البرجوازية، من خلال حركتها التاريخية فصلت مجتمعها عملياً عن المجتمع القديم الذي يعتبر الدين عماده الأساسي وانطلاقاً من هذا وحده أصبح الكلام، الوضعي حول المجتمع ممكناً، أما أسس العمران الخلدوني فهي شيء آخر تماماً.

يمهد ابن خلدون لكلامه حول: "العمران الإنساني عامة" بجملة من الأطروحات مفاد أولها أن المجتمع الإنساني ضروري، ويستشهد الكاتب بالفلاسفة لتفسير هذه الضرورة: "الإنسان مدني بالطبع". لكن المجتمع عند هؤلاء يتطابق مع المدنية وليس العمران كذلك¹ أي لا بد من الاجتماع للإنسان، لأن الإنسان كائن اجتماعي "وحقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم. ولما يعرضه لطبيعة ذلك العمران من الأحوال...

(1) ينظر: دلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، د. حسن إسماعيل، ط1، سنة 2007.

"وهناك مجموعة من "ما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والصنائع"¹.

إن هذا الأمر ينجلي بوضوح حين ندقق ف المقدمات الست التي عرضها ابن خلدون لتحديد العمران: تضع الأولى العمران في إطار "الاستخلاف" ولكنها تحدد في الوقت نفسه أنواع النشاطات الإنسانية، إنتاج وسائل المعيشة وإقامة السلطة، وإنتاج العلوم والمهن – الصنائع – وتعطي المقدمات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة تحديدا واقعيا للعمران، ولهذه المقدمات طابع جغرافي. فالمقدمة الجغرافية الأولى تلخيص "للأقاليم السبعة" من أجل تحديد الجزء الصالح لأقاليم، حيث إن مناخ الجزء الثاني والثالث والرابع من الأرض معتدل، مما يجعل منها المجال الحقيقي للتاريخ إذ تطورت فيها الحضارات والأديان. وتعالج المقدمة الثالثة تأثير المناخ على نفسية الأمم، والاختلاف بين أقاليم العمران فيما يتعلق بالخصب والقحط، ونتائج ذلك كله على التكوين الجسدي والمعنوي للبشر، أما المقدمة السادسة، فإنها تبين البعد الميتافيزيقي للإنسان ويتناول موضوعها النبوة والعرافة والرؤيا. والعمران إذن هو موضوع بحث مشروع للعقل، غير أنه ينبغي تحديد معنى "العقل" عند ابن خلدون.

ثانيا: نتحدث عن الباب الثاني: الذي يتعلق بالعمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه فصول وتمهيدات. فقد توصل ابن خلدون عند بحثه للعمران البدوي وهي أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو اختلاف نحلهم من المعاش، قاداته بالضرورة إلى دراسة عدة مقولات اقتصادية تعتبر حجر الزاوية في علم الاقتصاد الحديث، مثل دراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقال هذه الأخيرة من البداوة إلى الحضارة.

(1) المصدر نفسه، ص، 35.

كما ركز ابن خلدون على الصناعة جاعلا منها السبب في الازدهار الحضاري: أي الصنائع إنما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته¹. كما تعرض ابن خلدون لمفهوم العصبية وأسباب وجودها أو فقدانها قد انتقل إلى موضوع حساس وهام، مبينا دور العصبية فيه، ألا وهو موضوع "الرئاسة" الذي يتطور في العمران الحضري إلى مفهوم الدولة. فأتثناء مرحلة العمران البدوي يوجد صراع بين مختلف العصبيات على الرئاسة ضمن القبلية الواحدة، أي ضمن العصبية العامة حيث أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة، هي أشد التحاما من النسب العام.

كما حدد ابن خلدون مدة وراثه الرئاسة ضمن العصبية القوية بأربعة أجيال على العموم أي حوالي 120 سنة في تقديره. ثمن ينهي ابن خلدون نظريته المتعلقة بالسلطة أثناء مرحلة العمران البدوي ويخلص إلى نتيجة أن السلطة هي تلم المرحلة مبنية أساسا على العصبية بحيث لا يمكن أن تكون لها قائمة بدونها². ثم تحدث عن البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون بغيرهم بالمجاز والشبه ذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال، ومعنى البيت أن يعد الرجل في أبائه أشرافا مذكورين يكون له بولادتهم إياه.

وقال ابن إن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو، وإنما توجد لديهم في موطنهم أمور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع، إلا أن حاجتهم إلى الأمصار في الضرورة وحاجة أهل

(1) ينظر مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق الدكتور محمد تامر، كلية العلوم، قسم الشريعة، ط1، سنة 2005.

(2) المصدر السابق، ص، 35.

الأمصار إليهم في الحاجي والكمالي فهم محتاجون إلى أمصار بطبيعة وجودهم فما داموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على أمصار¹.

ثالثاً: نتحدث عن الباب الثالث من الكتاب الأول: في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه قواعد ومتممات. لقد أكد ابن خلدون أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية والعصبية عنده أصبحت مقولة اجتماعية احتلت مكانة بارزة في مقدمته حتى اعتبرها العديد من المؤرخين مقولة خلدونية بحثة. وهم محقون في ذلك لأن ابن خلدون اهتم بها اهتماماً بالغاً إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغيرات الجذرية التي تطرأ على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية.

كما أنها ف رأيه المحور الأساسي في حياة الدول والممالك، ويطنب ابن خلدون في شرح مقولة تلك مبينا أن العصبية نزعة طبيعية في البشر. ذلك أنه تتولد من النسب والقراية وتتوقف درجة قوتها أو ضعفها على درجة قرب النسب أو بعده، ثم يتجاوز نطاق القراية الطبقية المتمثلة في العائلة ويبين أن درجة النسب قد تكون في الولاء للقبيلة وهي العصبية القبلية. ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ يفرضه كل أحد من أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس في اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء. أما أصبح النسب مجهولاً غامضاً، ولم يعد واضحاً في أذهان الناس، فإن العصبية تضع وتختفي هي أيضاً بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح انتفت النعرة التي تحمل هذه العصبية فلا منفعة فيه حينئذ، هذا ولا يمكن للنسب أن يختفي ويختلط في العمران البدوي، وذلك أن قساوة الحياة في البادية تجعل القبيلة تعيش

(1) المصدر السابق، ص، 37

حياة عزلة وتوحش، بحيث لا تطمح الأمم في الاختلاط بها، ومشاركتها في طريقة عيشها النكداء، وبذلك يحافظ البدو على نقاوة أنسابهم، ومن تم على عصبيتهم¹.

الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في الفقر، وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظيف الأحوال وسوء الموطن، حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة، فصار لها ألفا وعادة. أما إذا تطورت حياتهم في رعن العيش بانضمامهم إلى الأرياف والمدن، فإن نسبهم يضيع حتما بسبب كثرة الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة ثمرتها من العصبية فأطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت اندثرت العصبية مدثورها وبقي في البدو كما كان، وهكذا تخلص للقول في هذا الصدد بأن العصبية تكون في العمران البدوي وتفقد في العمران الحضري².

رابعا: نتحدث عن الباب الرابع من الكتاب الأول: في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه سوابق ولواحق.

يؤكد ابن خلدون أن البناء والتخطيط أماكن السكن، من المظاهر اللصيقة "بالحضارة" والمرتبطة بالترف، وفي ذلك يذهب إلى القول بأن "المدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة، وبناء كبير، وهي موضوعية للعلوم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي. كثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم إليها اضطراريا... بل لا بد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدين بها الملك والدولة"³. وفي هذا الشأن بطلت ابن خلدون مقولته الشهيرة حتى يقرر أنه: "لا بد من تمصير الأمصار، واختطاط المدن من الدولة والملك". وهو بذلك يقرر دور الدولة في غرس

(1) ينظر: المقدمة، لابن خلدون، ص، 119.

(2) المصدر نفسه، ص، 114، 120.

(3) ينظر المقدمة، ابن خلدون، ص، 272.

المدينة الكبرى كعاصمة مستحدثة مع قيام الدولة الجديدة¹. ثم ينتقل إلى الحديث عما يطرأ على المدينة من نمو وزيادة تتمثل في المرافق العامة مع ربط ذلك بقوة الدولة، وطول مدة حكمها فيقول في هذا الصدد: "فعمر الدولة حينئذ عمر لها، فإن كان أمد الدولة قصيرا وفق الحال فيها عند إنتهاء الدولة، وتراجع عمرها، وخربت، وإن كان أمد الدولة طويلا ومدتها مفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاذ، والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد، ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح إلى أن تتسع الخطة، وتبعد المسافة، وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها"².

يربط ابن خلدون بين قوة الدولة ورسوخها واستقرارها في نفوس الناس، وبين خفوت حدة العصبية التي ألفوها من قبل، فهناك تحو كبير يحدث لدى أفراد المجتمع عندما تقوى شكيمته الدولة وتتوارث حاكما بعد آخر ورويدا تنس النفوس شأن الأولوية العصبية وترسخ في العقائد دين الانقياد للحكام والتسليم لأمرهم.

ويعطي ابن خلدون شاهدا تاريخيا يدعم به هذا الحكم فيقول: "...ومثل هذا وقع لبني العباس فإن عصبية العرب قد فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالمولي من العجم والترك والسلجوقية وغيرهم... ثم تغلب العجب الأولياء على النواحي، وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدو أعمال بغداد حتى زحف إليها الديار وملوكها، وصار الخلائق في حكمهم ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم، ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار وقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة"³.

خامسا: نتحدث عن الباب الخامس من الكتاب الأول: في المعاش ووجهته من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، وفيه مسائل.

1) جغرافيا العمران عند ابن خلدون، عبد العالي الشامي، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، الجمعية الجغرافية، الكويت، د.ط، سنة 1988، ص، 212.

2) ينظر المقدمة، لابن خلدون، ص، 222.

3) ينظر المقدمة لابن خلدون، ص، 122.

يتحدث عن حقيقة الرزق والكسب وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية. يربط ابن خلدون في هذه المسألة مباشرة عن تأثير الخصب والجوع والأحوال الجسمية والذهنية ويؤكد أن أحوال العمران تختلف باختلاف البيئات وما تنتجه من زرع وعشب وفواكه.

ويذهب ابن خلدون إلى أن الناس لا يتجاوزون الضروري من المعاش طالما أن العمران الحضري لم يستوقف ولم يتمد المدن بعد، فإذا حدث التمدن وكثرت الأعمال وازداد الصرف أدى إلى اكتمال المعاش، فالصانع والعلوم تأتي متأخرة عن الضروري فهي ضرب من الكاملات لا يلتفت إليها البشر إلا بعد استيفاء الضروريات. أما العمران البدوي فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط، خاصة المستعملة في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جرار، فهي وجدت ليست مقصورة لذاتها.

ولم يقل ابن خلدون أن العامل الاقتصادي هو محرك التاريخ فقط، بل قال بعدة عوامل تتفاعل فيما بينها ليتحرك التاريخ وعلى رأسها العامل الاقتصادي. ويقول الفخوري وخليل الجر أن "ابن خلدون يعتقد أن للعوامل الروحية أثرا كبيرا في تكيف الحياة الاجتماعية ولذلك لا يمكننا أن نسميه ماديا"¹.

يقول ابن خلدون: "أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو نوت اليوم من الحنط مثلا فلا يحصل إلى بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل هذه الثلاثة تحتاج إلى مواعين وآلات وتتم بالصناعات المتعددة من حداد ونجار"² يذهب ابن خلدون إلى

(1) تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفخوري، وخليل الجراح، دار المعارف، بيروت، د.ط، سنة 1957م، ص، 494.

(2) ينظر المقدمة، ابن خلدون، ص 36، 37.

ترتيب وحدة المعاش وأصنافه متفقا مع أهل الأدب والحكمة كالحريري حيث قال: "إن المعاش: إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة"¹.

ابن خلدون حين يعلق على هذه المقولة يخرج المعاش من الإمارة من الترتيب، حيث لا يراه مذهباً طبيعياً للمعاش أما الثلاثة الأخرى فهي وجوه طبيعية للمعاش. غير أن الزراعة تتقدمها جميعاً لبساطها وطبيعتها وفطرتها فهي أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة.

سادساً: نتحدث عن الباب السادس من الكتاب الأول: في العلوم وأصنافها وطرقه وسائر وجوهه، وما يعرضه في ذلك كله من الأحوال، وفيه مقدمة ولواحق. تحدث عن العلم والتعليم ف العمران البشري أي الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون بأبناء جنسه والاجتماع المهيم لذلك التعاون وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع².

ثم تحدث عن العلوم التي تكثر بفضل كثرة العمران تعظم الحضارة، والسبب في ذلك هي أن الصنائع تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف، ثم تحدث عن علوم القرآن من التفسير والقراءات وعلوم الحديث و علم الكلام وعلم التصوف. تحدث عن الفلسفة، فالفلسفة عند ابن خلدون بنيت منذ بدايتها على النقد الموضوعي والفحص العميق في الأشياء وطلب الحقيقة لذاتها، ورفض الفكر الأحادي المتسلط بفرض "الحقيقة وهذه كلها مجمع عليها من طرف كل الذين تعاطوا الفلسفة.

الفلسفة عند ابن خلدون تساوي الفكر تقود إلى الفساد وتؤدي إلى تحطيم الدين... ورجع ابن خلدون أبحاثه إلى الواقع فأنزل التفكير من السماء إلى الأرض، إلى العلاقات السائدة، وأخيراً إلى المحركات الحقيقية الكامنة في المجتمع ولقد رأى أن هناك طائفتين للعلوم ولكل

(1) المصدر نفسه، ص، 304.

(2) ينظر، المقدمة، لابن خلدون، ص، 319

طائفة منها أداة صالحة لتصلحها، وهذان العلمان هما العلوم العقلية والعلوم النقلية، أما العلوم العقلية فإن أداة تحصيلها هي الحواس والعقل، أما العلوم النقلية، فسبيلها إليها هو الوحي: فقد أن فصل بين العلمين وأعطى لكل واحد منهما أدواته ومنهجه، انتقل إلى الحديث عن بعض المسائل التي تتصل بالفلسفة كميدان علم الكلام وعلم التصوف وعلم المنطق، ولكن كل ذلك بطريقة الناقد، لا بطريقة الفيلسوف الذي ينغمس فيها¹.

انتقل ابن خلدون إلى التحدث عن السحر وقال إن بعض الناس يرجعون الدين إلى السحر فاستطاع أن يلمس وجود السحر بنفسه في مجتمعه في حين لم يستطيع أن يجد مجالاً للتجربة، فقد آمن بوجود العوالم الروحية ولم يؤمن بالفلسفة. إن ابن خلدون ليس بالفيلسوف العقلاني النظري وليس بالفيلسوف المادي الطبيعي، وليس بالمتصوف الذي يؤمن بالكشف الوجداني كمصدر للمعرفة، كما فعل الغزالي، إنما هو حاول أن يبحث عن الحقيقة لأنه يعتبرها العالم الإنساني².

(1) ينظر، الفكر العلمي عند ابن خلدون الصغير، ابن عمار، ص، 15-16.
(2) ينظر الفكر الأخلاقي، عبد الله شريط، ص، 85.

المبحث الأول: التعريف بعلوم القرآن من خلال المقدمة.

بعد دراسة معمقة لمجموعة من الكتب أشهرها كتاب ابن خلدون بعنوان "المقدمة"، قد تطرقنا إلى مجموعة من المواضيع ذات مفاهيم عديدة وعميقة كعلم القرآن وتفسيره، مع التركيز في أري مجموعة من العلماء دون التقليل من معلوماتهم من حيث التحليل والتفسير، فتوسعوا بدراساتهم المستنبطة من القرآن، أبرزهم الإمام أبي عبد الله الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن". ثم الإمام السيوطي في كتابه: "الاتقان في علوم القرآن" وعناوين أخرى مثل: "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، وكتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" للزرقاني، وكتاب "مباحث علوم القرآن" لصبحي صالح، وكتاب "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" للمقدسي إلى غير ذلك من العلماء الذين بحثوا في علوم القرآن وتفسيراته.

في دراستنا التفصيلية ركزنا على كتاب ابن خلدون محوره: "علوم القرآن من التفسير والقراءات" من الفصل الخامس. فقد عرّف ابن خلدون علوم القرآن: بأنه كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة روّوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجَمّ العفير، فصارت القراءات السبع أصولا للقراءة¹.

إن تعريف علوم القرآن كفن مدون، فقد تعددت عبارات العلماء فيه وقراءاته ومباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابته إلى غير ذلك.

(1) ينظر: مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ط1، دار صادر، بيروت، سنة، 2000.

ومن العلماء الذي عرفوا علوم القرآن فهم كثيرين منهم الإمام العالم أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي في كتابه: "فنون الأفتان في عيون علوم القرآن" في القرن 6هـ توفي سنة 579هـ، فقد عرّف علوم القرآن بأنه: فن عظيم جليل استحوذ على اهتمام أعلام علماء الإسلام، وهو علم يضم أبحاثا كلية هامة، تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل منها علما متميزا¹.

وأما العلامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، المتوفى سنة 665هـ - 1267م في كتابه: "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" فقد تحدث عن كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفظه في ذلك الأوان.

قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}²، وقال جلت قدرته: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}³، فليلة القدر هي الليلة المباركة وهي شهر رمضان، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتماسها في العشر الأخير⁴، ولا ليلة أبرك من ليلة، وهي خير من ألف شهر.

ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة 794هـ في كتابه: "البرهان في علوم القرآن" ويقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء.

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب "قانون التأويل": إن علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كلام القرآن مضروبة في أربعة. قال بعض السلف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحدّ ومقطع، وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط، وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ. وقال: أم علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة

(1) ينظر: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، لابن الجوزي، دار البشائر الإسلامية، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

(2) سورة الدخان، الآية 3.

(3) سورة القدر، الآية 1.

(4) أنظر: صحيح البخاري، 254/2، وسنن أبي داوود، 70/2 - 72.

الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير، ومنه الوعد والوعيد و الجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن، والأحكام ومنها التكليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب.

فالأول: {وَالْهَيْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} سورة البقرة الآية 163، فيه التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال.

والثاني: {وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} سورة الذاريات الآية 55.

والثالث: {وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ} سورة المائدة الآية 49.

ولذلك قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن". يعني في الأجر، ذلك فضل الله يؤتيه من يشأ. وهذه السورة اشتملت على التوحيد، ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب وقيل: سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها.

وقال أبو الحكم بن برّجان¹، في كتابه: "الإرشاد"، وجملة القرآن تشتمل على ثلاثة علوم: علم أسماء الله تعالى وصفاته، ثم على النبوة وبراهينها، ثم علم التكليف والمحنة. وقال: هو أعسر لإغرابه أي اغترابه، وقلة انصراف الهمم إلى تطلبه من مكانه.

وقال محمد بن جرير الطبري²: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والإخبار والديانات. وقال على بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً: الإعلام والتنبيه والأمر، والنهي، والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار، وتعليم الإقرار باسم الله وصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والردّ على الملحدين، والبيان عن

(1) أبو الحكم بن برّجان: هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برّجان اللخمي الأشبيلي، حامل لواء اللغة بالأندلس في عصره، توفي سنة 627هـ.

(2) محمد بن جرير الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ، توفي سنة 310هـ.

الرغبة، والرغبة، والخير والشر، والحسن، والقبيح، ونعت الحكمة وفضل المعرفة، ومديح الأبرار، وذم الفجار، والتسليم، والتحسين، والتوكيد، والتفريع، والبيان عن ذم الاختلاف، وشرف الأداء.

وقال غيره علوم ألفاظ القرآن أربعة: الإعراب وهو في الخبر، والقطم وهو القصد معنى باطن نظم بمعنى ظاهر، والاعتبار وهو معيار الأنحاء الثلاث، وبه يكون الاستنباط والاستدلال، وهو كثير منه ما يعرف بفحوى الكلام.

وقد يتعدد الاعتبار نحو أتاني غير زيد أي أتياه أو أتاه غير زيد إلا هو، لو شئت أنت لم أفعل، أمرتني أو نهيتني، قال الله تعالى: رد عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء بدليل قوله تعالى: فالاعتبار إباحة.

ومن الاعتبار ما يظهر بآية أخرى كقوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا }¹، فهذه تعتبر بآخر الواقعة من أن الناس على ثلاثة منازل، أي أحد كل فريق في منزلة، والله بصير بمنزلهم: ومنه ما يظهر بالخبر، كقوله تعالى: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ }² بمعنى الحديث.

إن القرآن عند الزركشي أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب كانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. ثم أضاف إليه بعض الزيادات جلال الدين البلقيني المتوفى عام 824هـ في كتابه: "مواقع العلوم في مواقع النجوم"، يعد هذا الكتاب من نفائس كتب علوم القرآن الكريم، عميم النفع، عظيم الفائدة، جليل القدر، في بابه إذ أنه يعتبر أصلاً اعتمد عليه الإمام السيوطي في كتابه "الاتقان" و"التجبير في علم التفسير"³.

(1) سورة فاطر، الآية 45.

(2) سورة البقرة، الآية 97.

(3) مواقع العلوم في مواقع النجوم للإمام البلقيني، ص 5.

فقد تحدث عن علوم القرآن التي لا يقدر على حصرها إلا العالم بلغتها وسبرها ومن ألهمه الله سبحانه - الطريق إلى بعض معانيها، واستخراجها من مبانيها، إذ تحت كل كلمة من كلمة حكمة من حكمه، وكل جملة من جل يعجز عن إدراكها العقل. فالأولى للعارف التسليم لمالك المعارف، وإن كان في ذلك إفادة ما علم، فالليب من سلم. لكن قد حث الشارع صلى الله عليه وسلم على تعلم وتعليمه، وهو شامل لحفظه وتفهمه فوجب حث الشارع على الكفاية¹ لإقبال على هذا الأمر المبني على الامتثال².

ثم ألف جلال الدين السيوطي المتوفى عام 911هـ كتابه المشهور: "الاتقان في علوم القرآن"، قال: "اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها بابا ولا مسألة هي أصل إلا في القرآن وما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وتحت الثرى، وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل، والملائكة وعيون أخبار الأمم السالف... وذكر من العلوم التي كان القرآن سببا في نشأتها: علوم القراءات، والنحو والتفسير وأصول الدين، وأصول الفقه والفقه القصص والتاريخ والمواعظ. وتعبير الرؤيا، والفرائض والمواعيت، والمعاني والبيان والبديع، والطب والجدل، والهيئة والهندسة، والجبر والمقابلة، والنجامة، وأصول الصنائع"³.

إن القرآن فاختلف فيه، فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز "قرأت" ولا يهمز القرآن ويقول: القرآن اسم ليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل.

(1) الواجب الكفائي هي كل مهم ديني يراد به حصوله ولا يقصد به عين من يتولاه، المنشور في القواعد للزرکشي، 33/3.

(2) ينظر: مواقع العلوم في مواقع النجوم، للإمام البلقيني، ص 26

(3) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتبة التراث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د.ط).

ولم يكن نصيب علوم القرآن من التأليف في عصر النهضة الحديثة أقل من العلوم الأخرى، فقد اتجه المتصلون بحركة الفكر الاسلامي اتجاها شديدا في معالجة الموضوعات القرآنية بأسلوب العصر مثل كتاب "إعجاز القرآن" لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب "التصور الفني في القرآن"، وكتاب "مشاهد القيامة في القرآن" لسيد قطب، ومقدمة تفسير "محاسن التأويل" لمحمد جمال الدين القاسمي¹.

وقد ألف الشيخ طاهر الجزائري كتابا سماه: "التبيان في علوم القرآن" فقد تحدث فيه عن أسماء القرآن وقال: "اعلم أن الله تعالى قد سمي ما أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأربعة أسماء وهي القرآن والفرقان والكتاب والذكر، وقد ذكر ذلك مع بيان وجه التسمية بها الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره فقال إن الله تعالى ذكر سمي تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أربعة منهن القرآن، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} سورة يوسف، الآية 3، وقال: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} سورة النمل الآية 76.²

ومنهن الفرقان، والكتاب والذكر ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر، ووجهه فأما القرآن فإن المفسرين اختلفوا في تأويله والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس مصدرا من قول القارئ قرأت القرآن. قال قائل وكيف يجوز أن يسمى قرآنا بمعنى القراءة وإنما هو مقروء قيل كما جاز أن يسمى المكتوب كتابا وإما تأويل اسمه الذي "هو" فرقان فأما لتبيان تفسير أهل التفسير وأصل الفرقان عندنا الفرق بين شيئين والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء واستنفاد وإظهار حجة وتصرف وغير ذلك من المعاني المفرقة بين المحق والمبطل.

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن، للشيخ خليل مئاع القطان، دط، ص 10.
(2) ينظر: مباحث في علوم القرآن، تأليف العلامة طاهر الجزائري، ص 20.

فقد تبين بذلك أن القرآن سمي فرقانا لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره المحق، وتخليه المبدل حكما وقضاء. القرآن للجمع بين السور والآيات فيه ومنه قيل للجمع ومن ثم قال قائلون منهم: أن الله تعالى سمي القرآن كريما فقال وإنه لقرآن كريم سور القرآن مائة وأربعة عشرة، لكل سورة منها اسم خاص، وقد وقع لبعضها اسمان فأكثر.

وألف الشيخ محمد علي سلامة كتابه: "منهج الفرقان في علوم القرآن" تناول فيه المباحث المقررة بكلية أصول الدين بمصر تخصص الدعوة والإرشاد. وهذا الكتاب مقسم إلى جزئين: فالجزء الأول يتحدث عن علوم القرآن فقد عرفه على النحو التالي: إن مصطلح علوم القرآن هو مركب إضافي ينبغي معرفة كل من جزأيه بحسب الأصل ثم المراد به بعد التركيب، فيقول لفظ "القرآن" بحسب الأصل اختلف فيه من جهة الاشتقاق وعدمه والهمز والتحقيق والمصدرية والوصفية على أقوال وبياناتها بما يأتي:

أولها: ما ذهب إليه الشافعي أن لفظ القرآن المعرف بأن ليس مهموزا ولا مشتقا بل وضع علما على الكلام المنزل على النبي المسل صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: ما نقل عن الأشعري وأقوام أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه، ثم جعل علما على اللفظ المنزل إلخ. وسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف بعضها بعضا¹.

ثالثا: ذهب الفراء إلى أنه مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضا ويشبه بعضها بعضا، وجعل علما على اللفظ المنزل لذلك وهو على هذين غير مهموزا أيضا كالذي قبلهما ونونه أصلية².

(1) الأشعري: هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي تنسب إليه الطائفة الأشعرية.
(2) الفراء: هو أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين في اللغة، واسمه يحيى بن زياد الديلمي ويكنى أبو زكرياء، توفي سنة 207هـ.

رابعاً: قال الزجاج: هو وصف على فعلاّن مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض إذا أجمعته أو سمي الكلام المنزل على النبي المرسل به لأنه جمع السور أو جمع ثمرات الكتب السابقة¹.

خامساً: مما ذهب إليه اللحياني وجماعة من أنه مصدر مهموز بوزن الغفران سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر².

والحق من هذه الأقوال ما ذهب إليه الزجاج واللحياني من أنه مهموز وصف أو مصدر. وأما ترك الهمز فيه بعض القراءات، فهو من باب التخفيف، ونقل حركتها إلى ما قبلها وهو كثير شائع ثم نقل من المصدرية أو الوصفية وجعل علماً شخصياً كما ذهب إليه محققون الأصوليون ويطلق القرآن على القراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾³.

عند علماء الكلام عرفوا القرآن وبحثوا فيه تارة أخرى من حيث أنه كلام الله. وهو صفة من صفاته، وتارة يبحثون عنه من حيث إثبات بنوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فعرفوه من الجهة الأولى بأنه الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى المتعلقة بالكلمات الغيبية الأزلية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. والكلمات الغيبية هي ألفاظ حكمية مجردة من المواد مطلقاً حسية كانت أو خيالية أو روحانية وتلك الكلمات أزلية مترتبة من غير تعاقب في الوضع العلمي الغيبي.

فالقرآن عنده يطلق بالاشتراك اللفظي على الصفة القديمة، فهو مشترك بين الكلام النفسي والكلام اللفظي، ويطلق على كل منهما حقيقة عرفية، هذا ما يتعلق بلفظ القرآن. أما لفظ علوم فهوم جمع علم والمراد به المسائل وإدراكها.

(1) الزجاج: هو إبراهيم بن السري، ويكنى أبا إسحاق، صاحب كتاب: "معاني القرآن"، وقد قاد ابن سيده من مكتبته في تأليف المخصص. توفي سنة 311هـ.

(2) اللحياني: هو أبو الحسن علي بن حازم، اللغوي المشهور، المتوفى عام 215هـ.

(3) سورة القيامة، الآيتين 17-18.

وتلاه الشيخ محمد العظيم الزرقاني فألف كتابه: "مناهل العرفان في علوم القرآن". فقد عرف القرآن على أنه: كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام، خالد ختم به الأديان، فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهن إليه منزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة. وهو حجة الرسول وآيته الكبرى، يقوم في فهم الدنيا شاهدا برسالاته، ناطقا بنبوته، دليلا على صدقه وأمانته، وهو ملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه¹.

وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها، وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادتها.

وهو - أولا وأخرا - القوة المحوّلة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحوّلت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العائرة، فكأنما خلفت الوجوه خلقا جديدا. لذلك كله، كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن سلف الأمة وخلقها جميعا إلى يوم الناس هذا.

ويقال للقرآن: فرقان، أيضا، وأصله مصدر كذلك ثم سمي به النظم الكريم، تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول، أو في السور والآيات، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}²، ثم إن هذين الاسمين أشهر أسماء النظم الكريم، ويلى هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة، الكتاب، الذكر، التنزيل³.

(1) ينظر: مناهل العرفان في علوم الاتقان، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ج1، ص 3.

(2) سورة الفرقان، الآية 1.

(3) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، د.ط، ج1، ص 5.

وَألف الدكتور صبحي الصالح في كتابه: "مباحث في علوم القرآن" حيث تحدث عن أسماء القرآن وموارد اشتقاقها ومدلول اللفظ.

لقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة مخالفة لما سمي العرب به كلامهم جملة وتفصيلاً ورعيت في تلك الألقاب أسرار التسمية وموارد الاشتقاق وأشهر منها لقبان: الكتاب والقرآن، وفي تسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور، لأن الكتاب جمع للحروف ورسم للألفاظ، كما أن في تسميته بالقرآن إيحاءة إلى حفظه في الصدور. لأن القرآن مصدر القراءة وفي القراءة استذكار، فهذا الوحي العربي المبين قد كتب له من العناية به ما كفل صيانته، ومع أن حلت التسميتين ترتد إلى أصل أرامي إذ وردت الكتابة في الآرامية بمعنى رسم الحروف، وجاءت القراءة فيها بمعنى التلاوة. على أن الذي غلب استعماله من بين هاتين التسميتين هو لفظ القرآن بالمدلول المصدر، حتى بات علماً شخصياً لهذا الكتاب الكريم.

لقد ذهب العلماء في لفظ القرآن مذاهب فهو عند بعضهم مهموزاً وعند بعضهم الآخر غير مهموز، فمن رأى أنه بغير همز: الشافعي والفراء والأشعري. فالشافعي يقول إن القرآن: "لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآن ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل"¹. والفراء يقول أن النون في "قرائن" أصلية². والأشعري يقول: إنه مشتق من "قرن الشيء بالشيء" إذا ضمّه إليه. والقول بعدم الهمز في هذه الآراء الثلاثة كاف للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة. وممن رأي أن لفظ "القرآن" مهموز: الزجاج، واللحياني وجماعة.

وفي الأخير أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، والعرب في الجاهلية حين عرفوا لفظ "قرأ" استخدموه بمعنى غير معنى التلاوة، فكانوا يقولون هذه

(1) تاريخ بغداد، الخطيب 62/2

(2) ينظر الاتقان، 87/1.

الناقة لم تقرأ مملًى فقط، يقصدون أنها لم تحمل ملقوحا ولم تلد ولدا، ومنه قول عمرو بن كلثوم، هَجَانُ اللّون لم تقرأ حنينا¹. أما قرأ بمعنى "تلا" فقد أخذها العرب من أصل آرامي وتداولوها.

ومن أسماء القرآن "القرقان"، قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}²، ولفظ القرآن في الأصل آرامي، تفيد مادته معنى التفرقة، كأن في التسمية إشعارا بتفرقة هذا الكتاب بين الحق والباطل.

ومنها "الذكر" {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ}³، وهو عربي خالص، ومعناه الشرف ومنه قوله تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}⁴، ومنها التنزيل: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}⁵، وهو عربي خالص كذلك يشعر بأنه وحي يوحى، ويتنزل على قلب الرسول الكريم.

وهذا الأسماء هي الشائعة المشهورة، غير أن بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتى ذكر منها الزركشي خمسة وخمسين نقلا عن القاضي شيدله⁶ ولا ريب أنه خلط فيها بين التسمية والوصف، فمن أسماء "القرآن" مثلا: "العلي" لقوله تعالى: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ}⁷.

(1) لسان العرب 1/126.

(2) سورة الفرقان، الآية 1.

(3) سورة الأنبياء، الآية 50.

(4) سورة الأنبياء، الآية 10.

(5) سورة الشعراء، الآية 192.

(6) شيدله: هو الفقيه الشافعي، أبو المعالي، مؤلف: "البرهان في مشكلات القرآن، توفي سنة 494هـ.

(7) سورة الزخرف، الآية 4.

ومنها "المجيد"، لقوله: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} ¹. ومنها "العزیز"، لقوله: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} ². ومنها "العربي"، لقوله: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} ³.

وقد بلغ بعض العلماء الثمانية بأسماء القرآن نيفا وتسعين، والقرآن بأي اسم سميته، هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته. وتعريف القرآن الكريم على هذا الوجه، متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية.

ومن صفات القرآن الكريم:

1- المبارك: في قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ⁴.

2- "هدى ورحمة" في قوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ} ⁵

3- "الكريم" في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} ⁶

4- "الحكيم" في قوله تعالى: {الرَّتِّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} ⁷.

5- "الفصل" في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} ⁸.

وهذه المباحث جميعها هي التي تعرف بعلم القرآن حتى صارت علما على العلم المعروف بهذا الاسم.

(1) سورة البروج، الآية 21.

(2) سورة فصلت، الآية 41.

(3) سورة الزمر، الآية 21.

(4) سورة الأنعام، الآية 155.

(5) سورة لقمان، الآية، 3

(6) سورة الواقعة، الآية، 77.

(7) سورة يونس، الآية 1.

(8) سورة الطارق، الآية 13.

والعلوم: جمع علم، والعلم، الفهم والإدراك ثم نقل بمعنى المسائل المتعلقة والمضبوطة ضبطاً علمياً. والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ. والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

وقد صدر أخيراً "مباحث في علوم القرآن" للشيخ مناع خلیل القطان رحمه الله، عرف علوم القرآن بقوله: هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، أنزل الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم. وحرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وفهمه، وكان ذلك شرفاً لهم¹.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمح، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"². فالقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة، وقد تواترت النصوص الدالة على ذلك في الكتاب والسنة: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}، وتحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بالقرآن، وقد نزل بلسانهم، وهم أرباب الفصاحة والبيان، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله. فتبت له الإعجاز، وبإعجازه تبت الرسالة.

وكتب الله الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، والقرآن الكريم يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية علاجاً حكيماً، لأنه تنزيل الحكيم الحميد فهو دين الخلود، والقرآن يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً. والحد الحقيقي له هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحس³.

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن، تأليف الشيخ مناع الخليل القطان، الناشر مكتبة وهيبة، دط، ص 5.

(2) سورة الأعراف، الآية 158.

(3) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مصدر سابق ذكره، ص 15.

المبحث الثاني: مباحث علوم القرآن في المقدمة

إن الوقوف على تاريخ القرآن وعلومه يكشف عن حقيقة هذا الكتاب ومصدره، ويبين كيفية كتابته وجمعه، وقراءته، وتفهم معانيه، ويوضح جهود علماء الأمة من لدن عصر الصحابة في حفظ النص القرآني وصيانتته وتيسير تلاوته ومعرفة معانيه، تلك الجهود التي يتبين للمتأمل من خلالها سرّ الخلود لهذا الكتاب العظيم، الذي تكفل الله بحفظه. وكان علماء الأمة قد كتبوا في علوم القرآن وفي المباحث المتصلة بتاريخه، منذ بدء عصر تدوين العلوم الإسلامية الى زماننا، مئات الكتب التي يعجز المرء غير المتخصص عن الوقوف على كثير منها، أو الاستفادة منها، كما كانت تتسم به من التفصيل والشمول. كما أن أسلوب كتابتها لم يعد مألوف لدى كثير من قراء زماننا الذين ضعفت صلتهم بكتب التراث. ومن هنا كانت الحاجة تدعو إلى خلاصة تلك المباحث إلى القراء غير المتخصصين عامة، وإلى طلبة الدراسات الإسلامية و العربية الجامعية خاصة في أسلوب يجمع بين التركيز على الموضوعات الأساسية في تاريخ القرآن وعلومه أو بين السهولة في العرض، والوضوح في التعبير، من الاعتماد على المصادر الأصلية الموثقة من نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة والروايات التاريخية الصحيحة¹.

نعني عبارة "علوم القرآن" المباحث والدراسات التي كتبت حول القرآن الكريم، وهي تتناول أربعة موضوعات أساسية، الأول: مصدر القرآن أو كيفية إنزاله. وتلقي النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: كتابة القرآن وجمعه ونسخه في المصاحف. والثالث: تلاوة القرآن الكريم وقراءته، والرابع: تفسير القرآن وكيفية فهم آياته. وتأليف كل موضوع من هذه الموضوعات من عدد من المباحث التي يتكون من مجموعها ما يعرف بعلوم القرآن

(1) فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، تأليف العلامة ابن الجوزين ط1، 1408هـ/1987م، ص 14.

ويتصل بعلوم القرآن أيضا المباحث المتعلقة بفضائل القرآن، والدراسات التي تبحث في وجوه إعجازه¹.

يمكن للباحث أن يجد بدايات علوم القرآن في عصر النبوة متمثلة بالملاحظات والأحاديث التي تلقاها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتصلة بالقرآن الكريم ضمن سؤال الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية تلقيه القرآن الكريم بدأت المباحث المتعلقة بنزول القرآن الكريم، ومن قراءته النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وحثهم على تلاوته وحفظه.

نشأت المباحث الخاصة بالقراءات القرآنية، ويمكن القول أن تدوين علوم القرآن بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني، ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب "التفسير" لعبد الله بن عباس ت 68 هـ، ومنها كتاب في هجاء "رسم" المصاحف لعبد الله بن عامر الدمشقي، ت 118 هـ، وكتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء ت. 154 هـ، ويقدم ابن النديم صورة واضحة في كتابه "الفهرست"، عن حركة التأليف في علوم القرآن حتى سنة 377 هـ.

كما قدم ابن خلدون في كتابه "المقدمة" مباحث متعلقة بعلوم القرآن من التفسير والقراءات. فتحدث عن القراءات السبع التي تعتبر أصولا للقراءة وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها، وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها. وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمند والتسهيل لعدم الوقوف على كيفية بالسمع وهو الصحيح. ثم ظهرت أسماء القراء بحروف أ، ب، ج، د، ترتيبا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار. وأضف إلى فن القراءات في الرسم أيضا، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف. ورسومه الخطية، كزيادة الباء وزيادة الألف والواو. وحذف الألفات في مواضع أخرى. وتحدث عن التفسير وقال: "اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا

(1) مباحث علوم القرآن، تأليف العلامة مناع القطان، د. ط، ص 20.

كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان يُنزل جملاً جملاً وآيات، آيات لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع. ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجلد ويميز النسخ من المنسوخ، وعرفوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها منقولاً عنها.

ثم تحدث عن علوم اللسان من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن ملكات للعرب، فاحتجج إلى ذلك في تفسير القرآن وصار هذا التفسير على صنفين نقلين مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة النسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآيات، والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات، وجاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة. وأحسن التفاسير كتاب "الكشاف" للزمخشري من أهل خوارزم العراق¹.

ومن الذين توسعوا في العلوم المستنبطة من القرآن الكريم فهم علماء كثيرين منهم أولاً ابن الجوزي في كتابه "فنون الأفتان في عيون علوم القرآن".

لقد صدر الإمام ابن الجوزي أبواب كتابه بباب وجيز أورد فيه نبذة فحسب من فضائل القرآن الكريم تعريف بثواب تعلم القرآن ودراسته ثم عرض إلى موضوع أساسي وهو ذو جانب اعتقادي على درجة من الخطورة، زلت فيه أناس من أهل العلم والسلطان، فعقد باباً في أن القرآن غير مخلوق. وقال الإمام أبو الفرج "ونحن نقتصر على ذكر ما ثبت من طريق السند". ثم تحدث عن نزول القرآن على سبعة أحرف فعقد له إمام أبو الفرج باباً

(1) مقدمة ابن خلدون، تأليف العلامة عبد الرحمن محمد بن خلدون، دار صادر، بيروت، ط1، سنة 2000، ص 324، 325.

وصدره بالحديث الأم رواه الشيخان وغيرهما، وهو حديث عمر بن الخطاب وهشام بن مكيم.

وقف الإمام أبو الفرج موقف المتحير الناقد، البصير، المجتهد المرجح، فلم يذكر جميع الأقوال وإنما اختار منها أربعة عشرة قولاً، وجعل آخرها أرجحها فقال: "إن المراد بالحديث أنزل القرآن على سبعة لغات، وهذا هو القول الصحيح، وما قبله لا يثبت عند السبك، وهذا اختيار تعلق وابن جرير"¹. والتزموا أسلوبه في رسم الكلام القرآني، وقد سمى ذلك برسم المصحف أو مرسوم الخط، قال أبو عمر: "يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في "أولئك" و"أولي" و"أولات". ونحو الألف في "لن ندعوا" و"ليسوا".." وعن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: "واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدها". ثم تحدث عن عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروف ونقطه، ذكر الإمام أبو الفرج أن عدد سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشرة سورة فيهن الفاتحة والتوبة والمعوذتان، ثم... الإمام أن عدد آيات القرآن قد اختلف فيه العادون، مع النص القرآني المعدودة آياته واحدة لم يختلفوا فيه بزيادة ولا نقصان، ولا تغيير ولا تبديل، وقد وقع إجماع العادين على أن القرآن ستة آلاف ومائة آية، وقد تصدى الإمام السيوطي لتبيان فوائد تعداد آيات القرآن تفصيلاً، فذكر اعتبار الآية في خطبة الجمعة، إذ يجب فيها قراء كاملة.

ثم ذكر أبو الفرج بن الجوزي عدد كلمات القرآن واختلاف العلماء في حصر العدد. قال الإمام السيوطي: "قليل: وسبب الاختلاف في عدد الكلمات، أن الكلمة لها حقيقة ومجازا ولفظاً ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز".

وعقد الإمام فصلاً لعدد حروف القرآن وقال: " فأجمعوا على ثلاثمائة ألف حرف واختلفوا في الكسر الزائد على ذلك".

(1) المصدر السابق، ص 40.

يكفينا من عدّ حروف القرآن أن نعرف مقدر الحسنات المترتبة على تلاوته استناداً إلى الحديث: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".

وأما العلامة في أبي شامة المقدسي في كتابه " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" تحدث عن عدة مباحث.

أولاً: في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف). ففي الصحيحين عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله¹ أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"².

وفي سنن النسائي قال: "إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف كاف"³. والمراد بالأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها. جاء في كتاب "فضائل القرآن" وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى، الأولى والثانية كذلك حتى السابعة.

ثم تحدث عن القراءة الصحيحة القوية والشاذة الضعيفة المروية، قال الإمام أبو بكر بن مجاهد في كتاب "السبعة": "اختلف الناس في القراءات، كما اختلفوا في الأحكام. ورويت

(1) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله المدني، توفي سنة 98هـ.
(2) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب الخامس، وبدء الخلف الباب السادس، وأحمد في المسند، 264/1.

(3) تفسير الطبري، ص 371.

الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين، توسعه ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض، وحملة القرآن متفاضلون في حمله ونقله الحروف، منازل في نقل حروفه.

وكذلك ما روي من الآثار في حروف القرآن: منها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب، غير أنه قد قرئ به، ومنها ما توهم فيه فغلط به، فهو لحن غير جائز عند من لا يبصر من العربية غير اليسير، ومنها اللحن الخفي الذي يعرفه إلا العالم الكريم، وبكل قد جاءت الآثار في القراءات.

وعن عبيدة السلماني قال: "القراءة التي عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه، هي التي يقرأها الناس اليوم". وفي رواية: "القرآن الذي عرض". أخرجه ابن أبي شيبة.

ثم جاء العلامة محمد بن عبد الله الزركشي في كتاب: "البرهان في علوم القرآن":

أولاً: القول في القراءات السبع والقائلون بأنها كانت سبعا اختلفوا على أقوال:

- أحدهما أنه من المتكل الذي لا يدري معناه، لأن العرب تسمى الكلمة المنظومة حرفاً وتسمى القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة والحرف أيضاً المعنى والجهة. قالها أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي¹.

- وأحدهما هو أضعفها - أن المراد بسبع قراءات، وحكى عن الخليل بن أحمد، والحرف هاهنا القراءة وقد بين الطبري في كتاب "البيان" وغيره أن اختلاف القراء، إنما هو كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف. هناك ما تغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، وهناك ما تغير معناه ويزول بالإعراب ولا تتغير صورته ومنها الزيادة والنقصان.

(1) ابن سعدان النحوي، أحد القراء كان يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه. توفي 231هـ.

- سبعة أنواع كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن، بخلاف غيره من أنحاءه، فبعض أمر ونهي، ووعد ووعيد، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثال وغيره.

- إن المراد بسبع لغات، سبع قبائل من العرب، وليس معناه أن يكون الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا ما لم يسمع قط. أي نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة أزد وربيع...

- المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو: أقبل، هلم، تعال وأسرع، وأمهل، وكاللغات التي في "أف" ونحو ذلك.

- وأن ذلك راجع إلى بعض الآيات، مثل قوله تعالى: "أفّ لكم"، فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجرّ والرفع. وكل وجه: التنوين وغيره، وسابعا الجزم مثل قوله تعالى: "تساقط عليك".

- وسابعا اختار القاضي أبوبكر وقال: "الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضبطها الأئمة، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف وأخبروا بصحتها.

ثانيها: في علم التفسير، فقد عرفه بأنه علم يعرف به فهم كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

واعلم أن التفسير يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغة ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويبقى عنه الفهم.

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر، وما سواه كلام

أما العلامة جلال الدين البلقيني في كتابه: "مواقع العلوم في مواقع النجوم" تحدث في أولاً: عن نوعان مهمان عظيما الفائدة في الأحكام، إذ يعرف بذلك تأخير الناسخ عن منسوخه، وقد وضع العلماء في ذلك مصنفات، وكتب التفسير مشحونة في أوائل السور وكذلك المصاحف. فاختلف الناس في الاصطلاح، والمشهور أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكّي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، سواء نزل بمكة أو بالمدينة أو في سفر من أسفار النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم تحدث عن أسباب النزول وقد أفرده النسا بالتصنيف، ولكن يذكرون فيه أشياء عن ابن عباس ومجاهد وقتادة¹ وأبي العالية² والسدي وغيرهم، وما كان من أسباب النزول مرويا عن صحابي بإسناد، مرفوع، وما كان عن صحابي بغير إسناد فهو منقطع، والاختلاف في نقل أسباب النزول فوائد، فكل ما وقع فيه الاختلاف في سبب النزول فهو اضطراب ولا سيما إذا كان بغير سند.

أما عن تواتر غير الأداء كالمّد مثلا. قال في التيسير: "اعلم أن الهمزة إذا كانت مع حرف المّد واللين في كلمة واحدة، سواء توسطت أو تطرفت، فالاختلاف بينهم في تمكين حرف المد زيادة نحو: "أولئك" و"الملئكة"، وإذا كانت الهمزة أول كلمة وحرفه المد آخر كلمة أخرى فإنهم يختلفون في زيادة التمكين كحرف المد، نحو: "بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"³، وأطولهم مدا في الضربين جميعا يعني المتصل والمنفصل.

(1) قتادة بن دعامة، بن قتادة السّدوسي، أبو الخطاب البصري، كان حافظا، مفسرا روى عن أنس أبي سعيد الخدري، وروى عنه أيوب، وشعبة وغيرها، توفي 810هـ.

(2) أبي العالية، هو رفيع "بالتصغير" بن مهران أبو العالية الرباعي، روى عنه داوود بن أبي هند توفي سنة 90هـ.

(3) السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، توفي سنة 127هـ.

ومن الأنواع المهمة يحتاج إليها في الأحكام الناسخ والمنسوخ وقد وضع الناس فيها مضافات وكتب التفسير أيضا، ولم نعد المحكم نوعا برأسه فكان مقابل المنسوخ يسمى محكما.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان فرض على المسلمين أن يقاتل الرجل منهم العشرة من المشركين، قال الله عزّ وجلّ: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا صَابِرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَاتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)¹ فشق ذلك عليهم، فأنزل الله التخفيف فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين، وخفف عنهم ونقصوا من النصر بعد ذلك.

قال النحاس: "وهذا شرح بين حسن أن يكون هذا تخفيفا لا نسخا، لأن معنى النسخ رفع حكم المنسوخ، ولم يرفع حكم الأول، لأنه لم يقل فيه، لا بقاتل الرجل عشرة بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له، الناسخ والمنسوخ للنحاس.

والآيات في ذلك كثيرة، وقد ذكرنا ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وأما ما نسخت تلاوته وبقي حكمه فليس من مقصدنا، إذ ليس هو بقراءات الآن، ونحن إنما نتكلم عن في علوم القرآن.

ثم جاء العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه: "الاتقان في علوم القرآن" فقد تحدث عن عدة مباحث منها: معرفة المكي والمدني، سبب النزول والآيات التي نزلت مفرقة، ومجمعة، ونزول القرآن على سبعة أحرف، المد والقصر إلى غير ذلك.

أولا، تحدث عن معرفة المكي والمدني، قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه "التنبيه" على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة

(1) سورة الأنفال، الآية 65

وحكمه مكي، وقال ابن النقيب¹ في مقدمة تفسيره: المنزل من القرآن على أربعة أقسام، مكي ومدني وما بعضه مكي وما بعضه مدني، وما ليس بمكي ولا مدني. ثم تحدث عن سبب النزول: قال ابن تيمية، معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وقال الواحدي: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن.

أما بخصوص الآيات التي نزلت مفرقة، أخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علي أقل: أنزل القرآن خمسا خمسا إلا سورة الأنعام، فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كل سماء سبعون ملكا حتى أدوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرج أبو الشيخ²، عن أبي بن كعب مرفوعا: "أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك".

نزول القرآن على سبعة أحرف: قال أحمد من حديث أبي هريرة: "أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليما حكيمًا غفورًا رحيمًا". وعنده أيضا من حديث عمر: "أن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة".

قال البيهقي: المراد بالسبعة الأحرف هنا الأنواع التي نزل عليها؟ والمراد بها تلك الأحاديث للغات التي يقرأ بها، وقال غيره: من أول الأحرف السبعة بهذا، فهو فاسد لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لا ما سواه، أو حلالا لا ما سواه، ولأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله، أو حرام كله، أو امثال كله.

(1) ابن النقيب، جمال الدين الحنفي شيخ أبي حيان.

(2) أبو الشيخ: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن ديان، المعروف بأبي الشيخ توفي سنة 369هـ.

وقال ابن عطية: هذا القول ضعيف، لأن الاجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام، ولا في شيء من المعاني المذكورة. أما الحديث عن المدّ والقصر، فقد أفرده جماعة من القراء بالتصنيف والأصل في المدّ ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

والمدّ: هو عبارة عن زيادة مط في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ دونه. وحرف المدّ الألف مطلقاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وسببه لفظي ومعنوي، فاللفظي إما همز أو سكون، فالهمز يكون بعد حرف المدّ. وقبله، والثاني نحو آدم، ورأى، وإيمان، وخاطئين، وأوتوا، والموءودة.

كما تحدث العلامة جلال الدين السيوطي عن مبحث آخر وهو معرفة التفسير والتأويل وبيان شرفه والحاجة إليه، قال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ و مفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلى وجهها واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معاني مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة.

وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة، أو مجاز، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد الكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبَاطِنٌ صَادٍ)¹. تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد "مفعال" منه، وتأويله التحذير من التهاول بأمر الله والغفلة عن الأهبة الاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه، على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

(1) سورة الفجر، الآية 14.

وقال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن الكريم وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره. وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية.

قال الزمخشري: " التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"¹. أما الناسخ والمنسوخ، فقد أفردته بالتصنيف خلافاً لا يحصون منه أبو عبيدة القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وآخرون، قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.

ومن الكتب التي ألفت في كل مبحث من هذ المباحث أيضا لا تخفى بالنسبة لتفسير القرآن الكريم وحده، فقد ذكر الشيخ محمد علي سلامة في كتابه المنهج الفرقان في علوم القرآن، فقد تحدث عن معنى نزول القرآن وعرفه على النحو التالي: فالنزل مصدر نزل ومعناه لغة الإيواء، ومنه نزل الأمير المدينة، أي أوى إليها وقوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكًا)².

ويطلق لغة أيضا على تحريك الشيء من علو إلى أسفل: فأنزل القرآن بمعنى الكلام القائم بذات الله تعالى معناه إثبات الألفاظ الدالة عليه في اللوح المحفوظ أو في سماء الدنيا بعد اثباته فيه، وهو معنى نزوله في ليلة القدر والذي نزل به جبريل وألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم هو اللفظ والمعنى معا. أما كيفية نزوله فقد نزل من اللوح المحفوظ الذي هو الذكر أم الكتاب قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}³.

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، تأليف العلامة الزركشي، ج1، ط1، سنة 1988.

(2) سورة المؤمنون، الآية 29.

(3) سورة البروج الآيتان 21، 22.

وفي كيفية إنزاله على النبي صلى الله عليه وسلم، اختص القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بأنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، منجما مفرقا حسب الوقائع والحوادث وإجابات السائلين، وقد دلت على ذلك القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

أما حكمة إنزال القرآن مفرقا، قال الله تعالى: (وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُرَتِّلُهُ تَنْزِيلًا) ¹ وهذه الحكمة التي ذكرها الله تعالى لإنزال القرآن مفرقا وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على الناس.

إن أول ما نزل وآخر ما نزل هذا المبحث من المباحث العظيمة يتعلق به فوائد مهمة: منها معرفة الناسخ والمنسوخ، عند التعارض، ومنها التدرج في التشريع كمعرفة الآيات. إن أول ما نزل "اقرأ" إنه القول الأول والقول الثاني: (يأيتها المدثر) والقول الثالث: "سورة الفاتحة"، والقول الرابع "بسم الله الرحمن الرحيم". فيقال أن القول الأول هو الحق. وإن آخر ما نزل قد اختلف على أقول كثيرة منها أولها: إن آخر ما نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ² أخرجه البخاري، آخر ما نزل آية الربا، ثم ثانيها، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} ³ أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس وثالثها: آية الدين والقول الرابع، آخر آية نزلت: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} ⁴. رواه البخاري ومسلم، والقول الخامس، آخر سورة نزلت {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}. أخرجه مسلم عن ابن عباس، والقول السادس، سورة المائدة، والقول السابع، قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} ⁵.

1) سورة الإسراء، الآية 106.

2) سورة البقرة، الآية 278.

3) سورة البقرة، الآية 281.

4) سورة النساء، الآية 176.

5) سورة البقرة، الآية 93.

وتحدث عن سبب النزول ومعناه هو ما نزلت الآية أيام وقوعه متضمنة له أو مبنية لحكمه، أما مبحث الروايات الواردة في الأحرف السبعة هذا المبحث كثرت فيها أقوال العلماء وآراءهم بسبب تفسير معنى الأحرف المراد بها، وسند كل من الروايات ما ينير لنا الطريق في معرفة سبب النزول على سبعة أحرف وحكمته وبه يتضح المعنى ويزول الإشكال ومن هذه الروايات أولها:

روى الترميذي عن أبي بن كعب قال: "لقي رسول الله جبريل عليه السلام، فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمية، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قط، فقال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف" حديث حسن صحيح.

وروى الطبرني والطبري عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرنيها ريد بن ثابت وأقرنيها أبي كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم أخذ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي إلى جنبه، فقال علي: ليقراً كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل.

والمراد الأحرف السبع أي اللغات السبع متفرقة في القرآن كله من لغات أحياء من قبائل العرب، و معنى هذا القول أن بعض معانيه عبر عنه بلفظ من لغة إحدى القبائل العربية المشهورة والآخر عبر عنه بلفظ من لغة قبيلة ثانية وهكذا إلى سبع¹.

وتحدث عن كتابة القرآن الكريم فقد كتب جمعيه متفرقا في حياة "الرسول صلى الله عليه وسلم" وبين يديه في الرقاع والأكتاف والأضلاع والعصب واللخاف والظرار، الرقاع جمع رقعة وهي الخرقاة والقطعة من الأدم. والأكتاف جمع كتف وهو العظم المنبسط اللوح، والأضلاع جمع ضلع بكسر الضاد وفتح اللام في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم وهي عظم الجنبيين والعصب جمع عسيب وهو الأصل العريض من جريد النخل واللخاف جمع

(1) منهج الفرقان في علوم القرآن، تأليف محمد علي سلامة، ج1، ط1، 2002، ص 126.

لخفة كصحاف وصحفة وهي الحجر العريض الأبيض الرقيق والظفر هو الحجر الذي له حد كالسكين وجمعه ظرار. وتحدث عن فوائد الرسم القرآني ومن فوائده الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياء والضمة واو في نحو "إيتاءي ذي القربى" و "سأوريكم" أو الدلالة على أصل الحرف كتابة الصلاة والزكاة والحيوة بالواو. ومن فوائده كذلك الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التانيث تاء في لغة طيء ومثل حذف آخر المضارع المعتل لغير جازم مثل "يوم يأت" في لغة هذيل. ثم تحدث عن القراءات وهي اختلاف ألفاظ القرآن الكريم في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد ومد وإمالة وغيرها فحقيقتها تغاير حقيقة القرآن. قال الزركشي في البرهان: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرهما¹.

والقراءات السبع هي القراءات المنسوبة للأئمة السبعة المعروفين عند القراء، فهم: نافع، وعبد الله بن كثير، وأبو عمر العلاء، وعبد الله عن عامر، وعاصم، وحمزة وعلي الكسائي.

أما في الجزء الثاني من الكتاب تحدث عن التفسير، ومعناه لغة مأخوذ من الفسر وهو البيان والكشف ويطلق أيضا على التعرية للانطلاق.

وفي الاصطلاح هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. والتفسير تارة يكون بالرواية وتارة يكون بالدراية وتارة يكون بالإشارة، ثم تكلم عن النسخ والمنسوخ. فعرف النسخ بمعنى الإزالة ومنه يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته والإزالة هي الانعدام وهذا يقال زال عنه المرد وألم. وقد يطلق بمعنى نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقائه في نفسه.

(1) المصدر السابق، ص 325.

أما في الاصطلاح فهو رفع الحكم الشرعي من حيث تعلقه بالفعل بخطاب فخرج بالحكم الشرعي رفع الإباحة الأصلية أي البراءة الأصلية كإيجاب صوم رمضان. وقيل في تعريف آخر: النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمر وما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق.

أما الناسخ فيطلق على الله تعالى: {مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ} ¹، وقوله تعالى: {فَيَنْسَخِ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} ²، فيقال هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى كل طريق يعرف نسخ الحكم به كخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر فيقال وجوب صوم رمضان نسخ...
 وأما المنسوخ فهو الحكم المرتفع مثل حكم الوصية للولدين والأمر بين وحكم التربص حولاً كاملاً للمتوفي عنها زوجها. أما طريق معرفة الناسخ والمنسوخ: هناك النقل الصريح الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، كأن يقول النبي هذا ناسخ أو منسوخ أو كذلك. ثم إجماع الأمة على أن كذا ناسخ وكذا منسوخ. ثم تعارض الأدلة مع معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

إن أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ هو الركن الأعظم في باب الاجتهاد لمعرفة ظواهر النصوص سهلة لكن تعارض الأدلة متى عرف السابق من المتأخر يزول الإشكال، ويسهل. قدر ورد أن علي رضي الله عنه مر على قاض فقال له: "أتعرف الناسخ من المنسوخ"، قال "لا" فقال: "هلكت وأهلكت".

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله تعالى: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } ³. قال: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله،

(1) سورة البقرة، الآية 106.

(2) سورة الحج، الآية 52.

(3) سورة البقرة، الآية 269.

ودخل علي رضي الله عنه المسجد، فإذا رجل يخوف الناس، فقال: "ما هذا"، قالوا: "رجل يذرك الناس"، فقال: "ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أن فلان ابن فلان فاعرفوني"، فأرسل إليه: "أتعرف الناس والمنسوخ"، قال "لا" قال: "فاخرج من مسجدنا ولا تذكرنا".

إن مباحث علوم القرآن لا تسمى إليها السعة والشمول، ولا تدعي لها الفصيل والاستيعاب، إنما هي طائفة من المسائل المهمة التي نرجو ألا يحملها أو يتجاهلها عربي ينطق بالضاد أو مسلم يهتف بهذا الدين الحنيف.

وهذا ما ذهب إليه العلامة صبحي صالح في كتابه: "مباحث علوم القرآن"، فقد تحدث عن القرآن والوحي، وأسماء القرآن وتنجيته وأسراره ومواضيع عديد خاصة بالقرآن، ثم تكلم عن الأحرف السبعة فقال فيها: "لقد جاء في مسند أبي يعلى¹ أن عثمان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: "ذكر إليه رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف" لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك، فقال عثمان رضي الله عنه: "وأن أشهد معهم"². وعبارة "الأحرف" وهي جمع - حرف الواردة في الحديث تقع على مختلفة، فقد تكون بمعنى القراءة، كقول ابن الجزري: "كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر"³.

وقد تفيد المعنى والجهة كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي، ولكن القول بأن المراد بها القراءات. ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الأحاد⁴. كما يطلق السبعون في العشرات. وقد جاء في رواية الحديث بالمعنى إذ: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز،

(1) هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، المعروف بأبي يعلى وله مسندان صغير وكبير، توفي بالموصل.

(2) ينظر: الاتقان، ص 78/1.

(3) ابن الجزري، طبقات القراء، ص 292/1.

(4) وهو أحد القراء بدأ يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة خاصة تنسب إليه، توفي سنة 231هـ.

والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرهما¹.

ثم تحدث عن علم الناسخ والمنسوخ الذي يمكننا أن نعهده ضرباً من ضروب التدرج في نزول الوحي ولدق طال جدل العلماء في تعريف النسخ اصطلاحاً، لما توحى به هذه اللفظة من اشتراك لغوي في معانيها، فالنسخ يأتي بمعنى الإزالة، ويأتي بمعنى التبديل، كقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ}،² بمعنى التحويل كتناسخ المواريث، وقد أنكر بعض العلماء هذا الوجه محتجاً بأن النسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ وإنما يأتي بلفظ آخر.

واختلاف العلماء في تعريف النسخ ينبئ كذلك عن ضروب أخرى من الاختلاف في هذا الموضوع الخطير، فقد حصر بعضهم النسخ في القرآن نفسه، فلا ضير في نسخ الكتاب بالكتاب لتضافر الأدلة العقلية والنقلية على جوازه، ومال الأكثرون إلى جواز نسخ السنة بالقرآن كنسخ الصيام يوم عشوراء الثابت بالنسبة، بما كتبه الله في القرآن من صوم رمضان.

لقد كان الجمهور – قبل أبي مسلم الأصفهاني أخذ بلا تردد جواز النسخ في كتاب الله، بل كان العلماء لا يتجشمون عناء كثيراً، للاستشهاد بكثير من الآيات المنسوخة، وإن كان بعضهم في ذلك غلوا شديداً.

ثم تكلم عن الرسم القرآني، لقد اتبعت اللجنة الرباعية في استنساخ مصاحف الأنصار على عهد عثمان رضي الله عنه طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن وحروفه، وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة – برسم المصحف – ومن المتحمسين لهذا الرأي ابن المبارك الذي نقل في كتابه "الابريز" عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال له: "ما للصاحبة ولا لغيرهم في رسم القرآن إلا شعرة واحدة، وإنما هو

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص 218/1.

(2) سورة النحل، الآية 101..

توفيق من النبي، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، الأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز دون الكتب السماوية¹.

وعلى هذا الأساس، لم يجد الزرقاني في "مناهل" بأسا في أن يعدّ من مزايا الرسم العثماني "دلالاته" على معنى خفي دقيق كزيادة - الياء - في كتابه كلمة "أيد" من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ إذ كتبت هكذا "بأييد" وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء².

أما منطوق القرآن، فقد ردد المفسرون عبارة: "القرآن يفسر بعضه بعضا"³، وهذه العبارة يفسرونها كلما وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحا بمقارنتها بأية آية أخرى. لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والإحاطة والشمول، فقلما نجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغي أن يخصص أو يقيد أو يفصل، ومن هنا نشأ في الدراسات الإسلامية ما يسمى بمنطوق القرآن ومفهومه.

والإعجاز القرآني كان خليقا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف على وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفذ في التطوير والتغيير. وقد بذل العلماء جهودا مشكورة، وقاموا بمحاولات مضيئة لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال، قد رسوه على حدة دراسته تحليلية جزئية فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز.

(1) ينظر: كتاب مناهل العرفان للزرقاني، ج1، ص 370.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 367.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، تأليف الزركشي، ص 3.

أما شيخنا مناع القطان في كتابه: "مباحث علوم القرآن"، فقد تحدث عن مباحث عديدة منها: القرآن والوحي المكي والمدني وكذا أسباب النزول ونزول القرآن على سبعة أحرف والقراءات والقراء والناسخ والمنسوخ إلى غير ذلك.

وقد عن العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتبعوا القرآن آية آية. وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب. لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب وهو تحديد دقيق يعطي للمباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى.

ثم تكلم عن نزول القرآن: أنزل الله القرآن على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هداية للبشرية، فكان نزوله حدثا يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض. فإنزاله الأول ليلة القدر وتنزله الثاني مفرقا على خلاف المعهود في إنزال الكتب السماوية نزول القرآن جملة لقول تعالى في كتابه العزيز: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} ¹، ويقول تعالى: ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان حيث نزل القرآن عليه في ثلاث وعشرون سنة.

المذهب الأول وهو الذي قال به ابن عباس وجماعة وعليه جمهور العلماء – أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيما لشأنه عند ملائكته. ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرون سنة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض" رواه البخاري.

(1) سورة البقرة، الآية 185.

أما المذهب الثاني وهو الذي روي عن الشعبي¹، أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ابتدأ في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاثة وعشرين سنة. فليس للقرآن سوى نزوله واحد هو نزوله منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجادل فيه المشركون الذي نقل إليهم نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة.

أما ترتيب الآيات والسور كان على النحو التالي فترتيب الآيات، فإن القرآن سور وآيات منها القصر والطوال، والآية هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن، السورة هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع. وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكى بعضهم الاجماع على ذلك منهم: الزركشي في "البرهان"، وأبو جعفر ابن الزبير² في "مناسباته" إذ يقول "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف بين المسلمين".

وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما في المصحف المتداول في أيدينا توقيفا، لا مراد في ذلك، أما ترتيب السور، فقليل إنه توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتب السور، كما كان مرتب الآيات.

أما نزول القرآن على سبعة أحرف: لقد كان للعرب لهجات شتى تنبع من طبيعة فطرتهم في جرسيتها وأصوتها وحروفها، تعرضت لها كتب الأدب بالبيان والمقارنة، فكل قبيلة لها من اللحن في كثير من الكلمات ما ليس للآخرين. وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم

(1) الشعبي: وهو عامر بن شراحيل، من كبار التابعين، وأكبر الشيوخ أبي حنيفة، كان إماما في الحديث والفقه، وتوفي سنة 109هـ.

(2) أبو جعفر الزبير: هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي، كان من النحاة الحفاظ، توفي 807هـ.

في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت، فالقرآن الذي أوحى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعا بحروفه وأوبه قراءته للخالص منها. وذلك مما يبسر عليهم القراءة والحفظ والفهم، ونصوص السُّنة قد تواترت بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، ومن ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله عليه وسلم: أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده، ويزيد في حتى انتهى إلى سبعة أحرف"¹.

(1) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

المبحث الثالث: مصادر علوم القرآن في المقدمة:

لعبت البيئة التي نشأ فيها ابن خلدون في مسقط رأسه في تونس، دورا في تعرفه على المصادر المتنوعة التي تزخر بها دور العلم والمكتبات والاسميا المصادر التاريخية، كما وسع دائرة اطلاعه على المصادر المتوافرة في دول بلاد المغرب، وفي الأندلس ومصر أثناء توليه المناصب والوظائف السياسية والإدارية المختلفة في تلك الدول، فضلا عما أتاحتها له الفترة التي تفرغ فيها في قلعة بني سلامة، في الجزائر من فرص ذهبية لمطالعة وقراءة ما لم يطلع عليه من قبل من المصادر العربية الإسلامية، ومن المصادر اللاتينية والأوروبية، وأية مصادر أخرى أتيح له الاطلاع عليها ودراستها، لذلك فهو متأثر بمشارب علمية عدّة، أسهمت في تكوين شخصيته التاريخية، واعتمد عليها في تأليف المقدمة وكتاب العبر، ويمكن التعرف على منهجيته في التعامل مع تلك المصادر والمشارب من خلال ما يلي:

أ. المصادر الإسلامية:

فقد تربى تربية دنية أثرت في توجيه سلوكه وتكوينه الثقافي والفكري، وكان ابن خلدون سمته إسلاميا وهو يتحدث في الفكر التاريخي أو العمراني أو السياسي، وسيتقضي من المصدرين الرئيسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقصص الأنبياء، ويعتمد عليها اعتمادا مباشرا، وكان لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مكانة متميزة في استشهاداته واقتباساته، وقياساته... كما أنه تحدث عن الرسول عليه السلام، التي يدعو إليها ابن خلدون، ويعمل على بيان جدارتها، وأحقيتها وحدها، للتطبيق على المجتمع الإنساني.

ويلحظ المتتبع لمقدمة ابن خلدون لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم كتابه "العبر" أن مؤرخنا يبين نظريته في العمران، وما شده من تطور حضاري للمجتمع الإنساني على أساس إسلامي كما يلمس المستقرئ المنهجية ابن خلدون في الأخذ عن المصادر الإسلامية،

أن نسيج كتابه العبر بشكل عام من: ألفاظ، ومصطلحات أو لغة، واستدلالات، وأمثلة، وأفكار ومضامين، كلها تتبع من سلسبيل إسلامي، وتعتمد في الدرجة الأولى على التراث الإسلامي¹.

كما تعد المصادر العربية الإسلامية التي سبقت ابن خلدون المصدر الرئيسي لموارده التاريخية، ويبدو من تعامله مع هذه المصادر أنه مستوعب لكل ما ورد فيها من أخبار وروايات، ومناقش ومحلل وناقد لها، فهو يذكر أسماء المؤرخين الذين أخذ عنهم: كابن اسحاق، والواقدي، والمسعودي، والطبري، وابن الأثير، وابن الكلبي، وسيف بن عمر الأسري، والزهرري، وابن حيان الأندلسي صاحب المقتبس، وابن حزم، وابن عبد ربه، وابن أكرم، ثم يوجه سهام نقده إلى قسم من هؤلاء، بل إنه يناقش الكثير من رواياتهم ويفندها، مبينا خطأ بعضها، وفي الوقت ذاته لا يخفى إعجابه وتقديره لبعضها الآخر، فهو يغمز ويلمز في المسعودي والواقدي في حالات يرى فيها كذب رواياتها، وما يعترها من ضعف وخور، ومن تزويرها ومبالغات، وغير ذلك من الصور غير المقبولة، ويفندها بالمنطق السليم وبالتقدير الموضوعي الذي تنهار أمامه الأخبار الموهومة والتهويلات والمبالغات.

ونراه، وهو يكشف عن ملامح منهجه في التعامل مع هذه المصادر، يشيد بهؤلاء المؤرخين الأعلام تارة، ويبين سقطاتهم ومغالطهم تارة أخرى، فهو يقول عن المؤرخ يحي بن أكرم: "أنه كان عليه من أهل الحديث"، ولذلك يمتدح أسلوبه ودقته في النقد، كما يمتدح المسعودي بعد تقديم عن كتابه مروج الذهب، فيقول: "فصار إماما للمؤرخين يرجون إليه، وأصلا يعولون عليه في تحقيق الكثير من أخبارهم". ثم لا يلبث أن ينتقد المسعودي ومن على شاكلته، ويرد عليهم مبالغتهم فيقول: "وكثيرا ما وقع للمؤرخين من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرى النقل: غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على

(1) محمد علي الأحمد، مجلة إسلاميات المعرفة.

أصولها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار... وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين". ثم يقول وكثيرا ما ينقل للسامعين قبول الأخبار المستحيلة، وينقلونها وتؤثر، يقول عن المسعودي، وما ينقله من أخبار يستحيل تصديقها وينقلونها وتؤثر عليهم، كما فعله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية. ويقول عنه أيضا: "ومن الأخبار المستحيلة وما نقله المسعودي في تمثال الزرزور، الذي برومة تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون، ومنه يتخذون زيتهم". ومع رده لتلك الأخبار الملققة وغير المقبولة عقلا، ويرسم ملامح منهجه في التعامل مع مصادرها وإن سبيل النقد لها، هو التمحيص عن طريق علم العمران، ولذلك يقول: وأمثلة ذلك كثيرة، وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة".

فهو يأخذ على المؤرخين السابقين أساليبهم وطرائقهم في أخذ التاريخ، ويحصي عليهم أخطاءهم، لكن مع ذلك تظل مصنفاتهم التاريخية من أبرز مصادره، وكثيرا ما يعتمد على بعضهم حين يتعلق الأمر بالفتن بين علي ومعاوية، فتجده يركز في الاعتماد على الطبري، لوثوقه بأخباره في هذه الفترة الحساسة من التاريخ الإسلامي، فضلا على ذلك، فإنه يركز على قوانين علم العمران التي رآها المنهجية الدقيقة في نقد الأخبار وتمحيصها ما ابتكره علماء الحديث من تركيز على علم الإنسان في قبول الأحاديث وردّها. وهو يقيم منهجه النقدي في علم العمران على العقل، ويراه الوسيلة الفعالة في النقد لمواجهة التراكم الهائل من الروايات التاريخية، وللإفلات من منهج التقليد في النقل الذي سارت عليه من سبقه من المؤرخين.

أ- المصادر الأخرى:

التفت ابن خلدون إلى مصادر أخرى ليأخذ عنها موارده ومواده، ويستقي عنها أخباره ورواياته، وليؤكد لنا أنه متعدد المصادر متنوع المشارب، يعمل بالمنهج العقلاني التجريبي في دراسة علم التاريخ، ولا يفوت مصدرا تطاله يده إلا ويستمد منه مادة تاريخية، فالإنسان والبيئة والجهود الفردية والتنظيمات الاجتماعية، كلها مادة أولية للتاريخ. وهذه المواد في مجملها يتعامل معها ابن خلدون على أساس إسلامية في تحليلها، واستقاء الموارد التاريخية منها. كما أن تفهم ابن خلدون فكرة توسع المصادر التاريخية أدى إلى إدخال كل هذه المواد وصهرها في بوتقة مصادره التاريخية.

وقد كانت مصادر التاريخية في الفترات التي سبقتة إلى حين عهده تنحصر في الأخبار التي ينقلها المؤرخ من الكتب، أو يسمعها من الرواة المباشرين أو غير المباشرين، ولم يكن الاهتمام كالوثائق، والآثار، قد ظهر بعد ذلك كان النقد التاريخي منحصرا في الفقرات التي سبقتة بالمصادر الأخرى بتمحيص الأخبار، وفي عهده عمل على توسيع دائرة المصادر التاريخية، بالشكل الذي يستل على الإنسان والبيئة والجهود الفردية، وكافة التنظيمات الاجتماعية، بحيث تغطي كل ما كان داخل إطار العمران وفق المفهوم الذي طرحه ابن خلدون، وأن يكون علم العمران مقياسا بضبط به الكتابة في التاريخ.

ج - المصادر غير العربية

كانت التأليف والمصادر غير العربية، رافدا هاما من الروافد التي اعتمد عليها ابن خلدون في مادته التاريخية، التي دونها في كتابه العبر، لكنه لم يلتزم عند الاقتباس منها، بما وضعه من قواعد رصينة تحكم طرق التعامل مع هذه المصادر، إذ يؤخذ عليه الشامل الكبير وفي أكثر من جانب أثناء استفادته من المصادر الأوروبية واللاتينية، ويبدو أنه اغتتم فترة وجوده في الأندلس في ظل بني الأحمر، فنتبع ما وصلت إليه يده من مصادر

أوروبية، وحاول الإفادة منها، كما أفاد من الموارد اللاتينية أثناء توليه المناصب العديدة في دويلات المغرب، وما قره له ذلك من اطلاع على تلك الموارد، وفي تعامله مع المصادر غير العربية، فقد أخذ عليه "بدوي" العديد من الملاحظات أبرزها:

1- كانت نقوله عن النصوص اللاتينية لا تتوافق مع نصوصها الأصلية، فابن خلدون اختصر فيها اختصارا شديدا، ومزجها بحشو وإضافات من عنده.

2- ينسب ابن خلدون بعض النصوص والأقوال لأشخاص، ولكنها لا توجد في الأصول المنسوبة إليها باللغة اللاتينية، ولا في الترجمة العربية لهذه الأصول.

3- يتصرف ابن خلدون في النصوص التي ينقلها من ترجمات عربية ببعض المصادر اللاتينية وذلك في جوانب هامة مثل: التلخيص الشديد، والتقديم والتأخير، وضم نصوصها من مواضيع متباعدة جدا.

4- لم يكن ابن خلدون يحرض على دقة النقل فيما ينقل، على الرغم من تصريحه بأنه ينقل من مصادر معينة، وتحديده بداية النقل ونهايته.

فهذه المآخذ على منهج ابن خلدون في الاقتباس من المصادر غير العربية تؤكد سيره على قاعدة واحدة من التوثيق أثناء كتابته التاريخية، وأن ذلك مغاير لما حاول أن يلزم به نفسه من اتباع للمنهج الذي أصره في علم العمران وفي منهجيته علم التاريخ، وهو يحمل الأجيال اللاحقة مسؤولية عملية تكمن في تتبع هذه السقاطات المنهجية وتصحيحها، وفي الوقت ذاته يضعهم في مواجهة مباشرة مع أنفسهم، من أجل تطوير المنهجية التي ابتدأها في مقدمته لتكون أكثر قابلية للتطبيق، ولتكون قواعدها أساسا صحيحا وراسخا لنظرية حديثة متطورة في منهج البحث العلمي، في العلوم الاجتماعية عامة، وفي علم التاريخ بشكل خاص بما ينسجم والتطور الهائل الذي بلغته قواعد البحث العلمي في العصر الحديث.

المبحث الأول: التعريف بعلوم الحديث من خلال المقدمة:

إن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي للأمة فهي شارحة لكتاب الله عزّ وجل، مفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، ولذا كانت أصلا من أصول الدين تستمد منها العقائد والأحكام والآداب ولقد جاء في القرآن الكريم ما يوجب عن المسلمين طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما جاء به استنادا لقوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }¹.

وفي الحديث الشريف ما يوجب ذلك، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن ت أمر عليكم عبد؛ وإنه من يغش منكم فسيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"².

ولقد حفظ الله كتابه الكريم، ووفق للسنة الشريفة حفاظا عارفين، ينفون عنها تحرف الغلين، وتأويل الجاهلين، وقد خلف هؤلاء الأئمة الحفاظ ثروة علمية زاخرة في شتى علوم الحديث.

فضيلة علم الحديث وشرف أهله أي علم وأكرم من علم الحديث، فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالنضارة لمن يشتغل بعلم الحديث حفظا وتبليغا وفقها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرئ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"³. ولقد تعرض لعلم الحديث عديد من الأئمة والعلماء في جميع النواحي.

لقد تعرض العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406) في جزء من كتابه الشهير "المقدمة" إلى علوم الحديث، فهو لم يعرف علوم الحديث بشكل عام، لكنه لمح إلى

(1) سورة الحشر، الآية 7.

(2) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

(3) رواه أبو داود والترمذي، راجع قواعد الحديث للقاسمي، ص 43 وما بعدها.

معنى علوم الحديث من خلال قوله: "وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفًا من الله بعباده وتخفيفًا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها. قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾¹. ومعرفة النسخ والمنسوخ وإن كان عاقًا للقرآن والحديث إلا إن الذي في القرآن منه اندرج في تفاسيره وبقي ما كان خاصًا بالحديث راجعًا إلى علومه².

ولقد تعرض الحديث من الأعلام والعلماء إلى موضوع علوم الحديث في مؤلفاتهم، وتعرضوا كذلك إلى تعريف علم الحديث من بين هذه التعريفات نجد:

- **الحاكم النيسابوري (321هـ - 405هـ):** وهو من كبار المحدثين ومن أصحاب الصحاح، وقد علم مصطلح الحديث في تعريفات أولية إذ قال: علم مصطلح الحديث: هو علم بأصول وقواعد يعرف بها أصول السند والتمن من حيث القبول والرد، وثمرته: تمييز من السقيم من الأحاديث³.

- وتعريف آخر لأحد علماء الحديث وهو المعروف بـ **ابن الصلاح (577هـ - 643هـ)**، فقد قال على علم الحديث: " وإن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع الفنون النافعة، يحبه ذكور الرجال وفحولهم، ويعني به محققو العلماء وكملتهم، ولا يكرهه من الناس إلا رذالهم وسفلتهم، وهو من أكثر العلوم تولجا في فنونها، لا سيما الفقه الذي هو انسان عيونها. ولذلك كثر غلط العاطلين منه من مصنفي الفقهاء، وظهر الخلل في كلام المخلين به من العلماء⁴.

(1) سورة البقرة، الآية 106.

(2) كتاب مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. محمد محمد تامر، الناشر مكتبة الدينية الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى، (1432هـ-2005م).

(3) كتاب: معرفة علوم الدين، للحاكم النيسابوري، (321هـ - 405هـ)، د.ط.

(4) كتاب: "مقدمة ابن الصلاح.

- وكذلك نجد أيضا **أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير**، العالم المسلم (700 - 774)، وهو مؤرخ، وحافظ ومفسر... وقد عرّف علم الحديث فقال: "إن علم الحديث النبوي - على قائله أفضل الصلاة والسلام - قد اعتنى الكلام فيه جماعة من الحفاظ قديما وحديثا، كالحاكم والخطيب ومن قبلها من الأئمة ومن بعدها...؛ ومما كان من أهم العلوم وأنفعها أحببت أن أعلق فيه مختصرا نافعا، جامعا لمقاصد الفوائد، ومانعا من مشكلات ومسائل الفرائض، وكانت الكتاب الذي اعتنى بتهديب الشيخ الإمام العلامة **أبو عمر الصلاح** - تغمده الله برحمته - من مشاهير المصنفات في ذلك بين الطلبة لهذا الشأن، وربما عُني بحفظه بعض المهرة من الشبان سلكت وراءه، واحتذيت حذائه، واختصرت ما بسطه، ونظمت ما فرطه، وقد ذكر من أنواع الحديث خمس وستين نوعا...¹".

- وكذلك نجد **أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني (733هـ - 852هـ)** والملقب بأبیر المؤمنین فی الحديث فقد قال: "ونحن عندما نقول (علم الحديث) نعني بذلك كما كبيرا ضخما من المؤلفات والمواضيع، ملاء من المكتبة الإسلامية الكبيرة مساحات واسعة، وكان بفضل الله سبحانه وتعالى من فوائد هذه الأمة ومزاياها".

وقال: "إذا أردنا بادئ ذي بدء تعريفا شاملا لعلوم الحديث نجد أنفسنا مضطرة إلى اتباع طريقة العلماء في تقسيم تلك العلوم إلى قسمين أساسيين هما: علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية.

أ. **علم الحديث رواية:** هو علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وروايتها وضبطها وتحريروا ألفاظها.

ب. **علم الحديث دراية:** علم يعرف به رجال الراوي والمروي من حيث القبول أو الرد. وقال أيضا: " كما ذكرنا أن الإمام علي بن المديني المتوفى عام (234) وهو من أشهر أئمتة، كما يمكن أن يقال: إن الإمام الشافعي رحمه الله المتوفى عام (204هـ) أول من دون

1) كتاب: اختصار علوم الحديث، "لابن الفداء إسماعيل عمر بن كثير، (700 - 774)، د.ط.

بعض المباحث الحديثية في كتابه "الرسالة"، لكن العصر الذهبي لتدوين السنة النبوية إنما كان في القرن الثالث الهجري، أما القرن الرابع فهو عقد تأليف الجامعة التي لا يزال الآن مراجعها لا يستغنى عنها.

وفيما بين القرن السابع والعاشر كان دور النضج والاكتمال وبلوغ الغاية القصوى والتمام¹. وكذلك المؤلف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـ - 1445هـ - 911م - 1505م) وهو من كبار العلماء المسلمين نجد قد عرّف علم الحديث وقال عنه: "علم الحديث رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر، لا يعتني به إلا كل خير، ولا يحركه إلا كل غم، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر، وكنت ممن عبر إلى لجة قاموسه، حيث وقف غير بشاطئه، ولم أكتف بورود مجاريه، حتى بقرت عنه منبعه ومنشئه وقلت لمن على الراحة غول، متمثلة بقول الأول:

لسنا وإن كنا ذو حسب يوما على الأحساب نتكل نبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقد قال أيضا: "وقد طال ما قيدت في هذا الفن فوائد وزوائد وعلقت فيه نوادر وشوارده وكان يخطر ببالي جمعها في كتاب ونظمها في عقد لينتفع بها الطلاب...².

ومن بين المؤلفين أيضا نجد العالم: **عبدالفتاح أو غدة (1917-1997)** ق كذلك علم الحديث فقال: "علم الحديث بالإسناد والمتن أو بالراوي والمروي حتى تقبل الرواية أو ترد، التي بدأ تأسيسها في منتصف القرن الأول للهجرة حتى تكاملت ونضجت، وانصرفت في أواخر القرن التاسع لحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الدس والتزوير، والخطأ والتغيير، وهي تتمثل بضبط الحديث سندا ومتنا، وبيان حال الراوي والمروي ومعرفة المقبول والمردود، والصحيح والضعيف، والناسخ والمنسوخ وما تفرع عن ذلك كله من

(1) كتاب: فتح الباري، "شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، (733هـ - 852هـ).
(2) كتاب: تدريب الراوي في شرح تخريب النووي، للمؤلف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (849هـ - 1445هـ - 911م - 1505م).

الفنون الحديثية الكثيرة وكل ذلك يسمى: "علم مصطلح الحديث" أو "علم أصول الحديث" أو "علم المصطلح"،....¹.

وللأستاذ الشيخ سليمان الندوي - رحمه الله - كلمة مهمة في بيان أهمية الرواية وضرورة نقد المرويات. فقال رحمه الله: وهو يتحدث عن "تحقيق معنى السنة ومكانتها". "الرواية أمر ضروري لا مندوحة عنه لعلم من العلوم، ولا لشأن من شؤون الدنيا عن النقل والرواية لأنه لا يمكن لأي إنسان أن يكون حاضرا في كل الحوادث..."².

ومن المؤلفين أيضا الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب (1950هـ - 1932م) فقد عرّف علم الحديث فقال: "يشتمل علم الحديث موضوعين رئيسيين: علم الحديث رواية، علم الحديث دراية.

1- علم الحديث رواية: هو علم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية نقدا دقيقا محررا. فهو موضوع علم الحديث رواية - أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته. من حيث نقلها نقلا دقيقا. فهو يتناول ضبط كل حديث ونقله. وفي العناية بعلم الحديث رواية حفظ السنة وضبطها، والاحتراز عن الخطأ في نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا يتم حسن الاقتداء به عليه الصلاة والسلام، وتنفيذ أحكامه.

2- علم الحديث دراية: قال ابن الأكفاني: (علم الحديث الخاص بالدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها. وأحكامها، وحال الرواة و شروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها). وقال غيره: "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال السنة والمتن، وموضوعه السند والمتن".

(1) أنظر: كتاب لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (1917م-1997م)، ص 198-200 بتصرف.

(2) انظر: مقالة المانع، تحقيق معاني السنة ومكانتها، المنشورة في مجلة: المسلمون في المجلد السادس، ص 565، في العدد مئة، ص 49.

وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر " أولى التعاريف له أن يقال معرفة القواعد المعرفة بحال الراوي والمروي)، وتابعه على ذلك جل أهل الحديث. وقال: " وفائدة علم الحديث دراية معرفة المقبول من المردود. وقال أيضا: وقد أضاف علماء الحديث دراية معرفة المقبول من المردود. وقال أيضا: وقد أضاف علماء الحديث على علم الحديث دراسة اسم (علوم الحديث) واسم (مصطلح الحديث) واسم (أصول الحديث)... وكلها أسماء لمسمى واحد...." ¹.

(1) الوجيز في علوم الحديث "ونصومه للدكتور محمد الخطيب، حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة بجامعة دمشق، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (1889)، ص 7-8.

المبحث الثاني: مباحث علوم الحديث في المقدمة:

كان للعلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه الشهير "المقدمة" ، فصل تحدث فيه عن بعض أنواع الحديث، فقد قال عنها أنها كثيرة ومتنوعة. وأول علم تحدث عنه هو "معرفة الناسخ والمنسوخ" مشيراً بقوله: "ومعرفة الناسخ والمنسوخ وإن كان عاقلاً للقرآن والحديث إلا الذي في القرآن منها اندرج في تفاسيره وبقي كان خاصاً بالحديث راجعاً إلى علومه. فإذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما، تعين أن المتأخر ناسخ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها. قال الزهري: "أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه. وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة".

والعلم الآخر الذي تحدث عنه ابن خلدون هو النظر في الأسانيد مشيراً إليه بقوله: "ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب به من الأحاديث بقوعه على السند الكامل لأن العمل إنما يجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن... وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل...".

وقد لَمَحَ ابن خلدون في حديثه أيضاً عن رواة الحديث بالعدالة والضبط وعن الجرح والتعديل وعن مراتب هؤلاء النقلة والتابعين وتفاوتهم مشيراً بقوله هذا: "...وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط. وإنما يثبت ذلك بالعقل عن أعلام الدين لتعديلهم وبراءتهم من الحرج والغفلة ويكون لنا ذلك على القبول والترك. وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً....."¹.

[1] كتاب المقدمة، للمؤلف عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق الدكتور: محمد محمد تامر، الناشر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى.

ولقد أشار ابن خلدون أيضا متمثل في أقسام الحديث نحو قوله: " ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة. مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمفضل والشاذ والغريب، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم...".

وقد تحدث ابن خلدون عن أحوال نقلة الحديث. وطرقهم في الأسانيد في جميع العصور مشيرا بقوله: "... وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بدله فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق، منهم بالشام - مصر - الجميع معروفون بأعصارهم...". وقال أيضا: " ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدھا المختلفة. وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث أيضا في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها...".

وقد تحدث أيضا ابن خلدون عن المؤلفون من علماء وأئمة في علوم الحديث وع أشهر كتبهم مشير إلى هذا بقوله: "...وقد ألف الناس في علوم الحديث، وأكثر من فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتآلفيه المشهورة، وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه وأشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب أبي عمر بن الصّلاح كان لعهد أوائل المائة السابعة وتلاه محيي الدين النووي بمثل ذلك. والفن شريف في مغزاه لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة". وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكون ليغفلوا شيء من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وإنما تتصرف العناية لهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في أسانيدھا إلى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والأحكام... والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الأمور"¹.

(1) المرجع نفسه، ص 360 ، 361.

ونجد أيضا مفتي الشام، وشيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي المعروف بابن الصلاح (577هـ-643هـ)، قد تحدث عن علوم الحديث في كتابه: "مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث" وأشار فيه إلى عدد من أنواع الحديث فقال: النوع الأول من أنواع علوم الحديث: معرفة الصحيح من الحديث. اعلم. علمك وأيادي أن الحديث عن أهله ينقسم إلى صحيح وحسن وضعيف:

الحديث الصحيح: فهو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الظابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذًا ولا معدلاً.

(1) وفي هذه الأوصاف احترز عن المرسل، والمنقطع، المعضل، الشاذ وما فيه علة قاذحة فهذا الحديث الذي يحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث وقد يختلفون في صحة بعض الأحاديث لاختلافهم في وجود هذه الأوصاف فيه أو: لاختلافهم في اشتراط هذه الأوصاف كما في المرسل.

(2) ومتى قالوا: "الحديث صحيح"، فمعناه: اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة، وليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر.

(3) ومتى قالوا: "الحديث غير صحيح"، فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الأمر، إذ قد يكون صدقاً في نفس الأمر، وإنما المراد به: أنه لم يصح اسناده على الشرط المذكور.

(4) لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما ولا التزاماً ذلك:

فقد روينا عن البخاري أنه قال: " ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح. وتركت من الصحاح الملال الطول". وروينا عن مسلم أنه قال: "ليس كل شيء عند صحيح وضعفه مهناً" - يعني في كتابه الصحيح - إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه. ثم أن أبا عبد الله بن الأخرم الحافظ قال: "قل ما يفوت البخاري ومسلما مما يثبت من الحديث" يفي في كتابيهما.

قال البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح. ومائتي حديث غير صحيح. وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكررة¹. وقد قيل "إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث. إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة التابعين. وربما هذا الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين.

- ثم إن الزيادة في الصحيح على ما في الكتابين يتلقاها طالبهما مما اشتمل عليه أحد المصنفات المعتمدة المشهورة لأئمة الحديث: كأبي داود السجستاني، وأبي عيني الترميذي - أي عبد الرحمن النسائي - أبي بكر بن خزيمة - أبي الحسن الدارقطيني....

- ويكفي مجرد كونه موجودا في كتاب..... إلا منهم الصحيح في جمعه: ككتاب ابن خزيمة - كذلك ما يوجد في الكتب المخرجة على كتاب البخاري وكتاب مسلم، ككتاب أبي عوانة الاسفرائيني - كتاب أبي بكر الإسماعيلي- كتاب أبي بكر البرقاني...من تنمية المحذوف أو زيادة شرح في كثير من الأحاديث، الصحيحين. وكثير من هذا موجود في " الجمع بين الصحيحين (لأبي عبد الله الحميدي). واغنى الحاكم عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الأحاديث الصحاح على ما في الصحيحين وجمع ذلك في كتاب سماه المستدرك.

5- الكتب المخرجة عن كتاب البخاري وكتاب مسلم رضي الله عنهما: وها ما أخرجه المؤلفون في تصنيفاتهم المشكلة: كالسنن الكبير للبيهقي، وشرح السنة لأبي محمد البغوي.

كما أن الجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي منها يشتمل على زيادة تنمات لبعض الأحاديث. ثم إن التخارج المذكورة على الكتابين يستفاد منها فائدتان: إحداهما: على الاسناد الثانية: الزيادة في قدر الصحيح.

6- ما أسنده البخاري ومسلم رحمهما الله في كتابيهما: بالإسناد المتصل فذلك الذي حكما بصحة اللإ إشكال.

(1) المرجع السابق، ص 14 - 15.

المعلق: هو الذي حذف من مبتدأ اسناده واحد أو أكثر – فأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري وهو في ك تاب مسلم قيل جدا. وينبغي أن نقول "ما كان من ذلك ونحوه يلفظ فيه جزم. وحكم به على من علقه عنه فقد حكم بصحته عنه -.

مثال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذا وكذا، وقال ابن عباس كذا، قال مجاهد... فكل ذلك حكم منه على من ذكره عنه بأنه قد قال ذلك ورواه. فلن إطلاق ذلك إلا إذا صح عنده ذلك عنه.

ثم إذا كان الذي علق الحديث عنه دون الصحابة: فالحكم بصحته يتوقف على اتصال الاسناد بينه وبين الصحابي وأما ما لم يكن في لفظه جرم وحكم مثل روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، و روي عن فلان كذا وكذا... لأن مثل هذه العبارات تستعمل في الحديث الضعيف أيضا. ومع ذلك فإيراده له في أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله اشعارا يؤنس به ويركن إليه. ثم إن ما يتقاعد من ذلك عن شرط الصحيح قليل. يوجد في كتاب البخاري في مواضع في تراجم الايوان دون مقاصد الكتاب وموضوعه الذي يشعر به اسمه الذي سماه به. وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وآيامه. والمقصود: لأن في بعضها ما ليست من ذلك قطعا.

قول البخاري: "باب ما يذكر في الفخذ" يروى عن ابن عباس وعن جرهد ومحمد بن جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الفخذ عورة". فهذا قطعا ليس من شرطه، ولذلك لم يورده الحميدي في جمعه بين الصحيحين.

7- معرفة الصحيح إلى ما خرجه الأئمة في تصانيفهم والتنبيه إلى أقسامه:

أولها: صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعا.

الثاني: صحيح انفرد به البخاري.

الثالث: صحيح انفرد به مسلم.

الرابع: صحيح على شرطهما، لم يخرجهما.

الخامس: صحيح على شرط البخاري، لم يخرج.

السادس: صحيح على شرط مسلم، لم يخرج.

السابع: صحيح عن غيرهما وليس على شرط واحد منهما.

هذه أمهات أقسامه وأعلىها الأول وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا صحيح متفق عليه¹. ولهذا كان الإجماع المتبنى على الاجتهاد حجة مقطوعة بها.

8- في مراجعة الصحيحين: فيشمل من أراد العمل أو الاحتجاج بذلك – إذا كان ممن يسوغ له العمل بالحديث، أو بالاحتجاج لدى مذهب (أي يرجع إلى أصل قد قابله هو أو ثقة غيره بأصول صحيحة متعددة).

معرفة الحسن من الحديث:

منها رويها عن أبي سفيان الخطابي – رحمه الله – أنه قال بعد حكاية أن الحديث ينقسم إلى ثلاث الحسن وهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله. ورويها عن أبي عيسى الترميذي رضي الله عنه أنه يريد بالحسن: "أن لا يكون في أسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون حديثا شاذاً".

أقسام الحسن: الحديث الحسن قسمان:

الأول: الحديث الذي لا يخلو رجال أسناده من مستور لم تتحقق أهليته. ولا هو متهم بالكذب في الحديث – أي لم يظهر منه تعمد بالكذب في الحديث ولا سبب آخر مفسق – ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأنه روي مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر.

الثاني: أن يكون رواية من المشهورين بالصدق، الأمانة. غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والاعتقان – ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون على ذا أو منكر – وعلى هذا يتنزل كلام الخطابي.

(1) المرجع السابق، ص 16-17.

وكان الترميذي ذكر أحد نوعين الحسن، وذكر الخطابي النوع الآخر – مقتصرًا كل واحد منهما – على ما رأى أنه معرضًا عن ما رأى أنه لا يشكل أو أنه غفل عن البعض وذهل.

معرفة الضعيف من الحديث:

الحديث الضعيف: هو كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسب، فبلغ تقسيم أبو حاتم بن حبان البستي خمسين قسماً إلا واحداً. والضعيف: هو ما عدم فيه جمع الصفات وهو القسم الأخير. وما كان من الصفات له شروط فاعمال في شروطه فتضاعف بذلك الأقسام. والذي له لقب خاص معروف من أقسام ذلك: الموضوع، المقلوب، الشاذ، المعلل، المضطرب، المرسل، المنقطع، المفضل¹.

معرفة المسند:

ذكر أبو بكر الخطير الحافظ رحمه الله: أن المسند عن أهل الحديث هو الذي اتصل سنده من رواية إلى منتهاه. وأكثر ما يستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما جاء عن الصحابة وغيرهم.

وذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ، أن المسند: ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه – وقد يكون متصلاً مثل: مالك عن نافع عن ابن عمر – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد يكون منقطعاً مثل مالك عن الزهري عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا مسند لأنه قد أسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. هو منقطع لأن الزهري لم يسمع عن ابن عباس رضي الله عنهم.

معرفة المتصل: ويقال فيه أيضاً: الموصول ومطلقه يقع على المرفوع والموقوف.

المتصل: هو الذي اتصل أسناده. فكان كل واحد من رواته قد سمعه ممن فوقه

حتى ينتهي إلى منتهاه.

(1) المرجع السابق، ص 19.

مثال: المتصل المرفوع من الموطأ: مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مثال: المتصل الموقوف: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قوله. **معرفة المرفوع:**

المرفوع: ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. ولا يقع مطلقه على غير ذلك نحو الموقوف عن الصحابة وغيرهم، ويدخل في المرفوع المتصل، والمنقطع، المرسل فهو والمسند عن قوم سواء، والانقطاع والاتصال يدخلان عليهما جميعاً. وقد يفترقان عن قوم في أن: الانقطاع والاتصال يدخلان عن المرفوع، ولا يقع المسند إلا على المتصل المضاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ أبو بكر ثابت: المرفوع ما أخبر فيه الصحابة عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله. فخصه بالصحابة فيخرج عنه مرسل التابعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: ومن جعل أهل الحديث المرفوع في مقابلة المرسل، فقد عني بالمرفوع المتصل.

معرفة الموقوف:

الموقوف: ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الموقوف الموصول: ما يتصل الاسناد فيه إلى الصحابي.

الموقوف غمير الموصول: ما يتصل اسناده

ووجود في اصطلاح الفقهاء الخراسانيين تعريف الموقوف باسم الأثر: قال أبو القاسم الغوراني: الفقهاء يقولون: الخبر ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأثر ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم¹.

(1) المرجع السابق، ص 26 - 27.

معرفة المقطوع:

المقطوع: ما جاء عن التابعين موقوفا عليهم من أقوالهم وأفعالهم. قال الخطيب أبو بكر الحافظ في جامعه من الحديث المقطوع: "المقاطع هي الموقوفات عن التابعين".

1) قول الصحابي "كنا نعمل كذا وكذا، أو كنا نقول كذا"، إذا لم يصفه إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل الموقوف وإن أضافه إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالذي قطع به أبو عبد الله بن البيهق الحافظ وغيره أن ذلك من قبيل المرفوع.

2) قول الصحابي " أمرنا بكذا ونهينا عن كذا" – من نوع الحديث والمسند عن أصحاب الحديث- وخالف في ذلك فريق منهم أبو بكر الإسماعيلي. والأول هو الصحيح لأن مطلق ذلك ينصرف بظهاره إلى من إليه الأمر والنهي. وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3) ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث منه قائما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك. كقول جابر رضي الله عنه "كانت اليهود تقول: "من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول". فأنزل الله عز وجل: نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَتَى شَيْئًا} سورة البقرة، الآية 223.

4) من قبيل الموضوع الأحاديث التي قيل في أسانيدنا عن ذكر الصحابي: يرفع الحديث أو يبغل به، أو ينميه.

مثال: عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رواية (تقاتلون قوما صفار الأعين).

معرفة المرسل:

إذا انقطع الإسناد قبل الوصول إلى التابعين، فالذي قطع به الحكام الحافظ أبو عبد الله وغير من أهل الحديث أن ذلك لا يسمى مرسلا، وأن الإرسال مخصوص بالتابعين. بل إذا كان من سقط ذكره قبل الوصول إلى التابعين شخصا واحدا سمي قطعاً. وإن كان أكثر من واحد سمي معضلاً ويسمى أيضاً منقطعاً والمعروف في أصول الفقه أن ذلك يسمى مرسلاً".

قول أبو بكر الخطيب: أكثر ما يوصف بالإرسال من حيث الاستعمال ما رواه التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما ما رواه تابعي التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيسمونه المفضل¹.

معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه:

روينا عن الزهري رضي الله عنه أنه قال: "أعي الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه. وكان للشافعي رضي الله عنه فيه يد طولى وسابقه أولاً. وفيمن عانه من أهل الحديث من أدخل فيه ما ليس منه كبقاء معنى النسخ وشرطه

ثم أن ناسخ الحديث ومنسوخه ينقسم إلى: وهو عبارة عن رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر.

ما يعرف بتصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم به "مثال ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

ع

1- ليه وسلم قال: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها".

2- ما يعرف بقول الصحابي: كما رواه الترمذي، عن أبي كعب أنه قال: "كان الماء رخصة في أول الإسلام.

3- ما عرف بالتاريخ: كحديث شداد بن أوس وغيره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال (أفطر الماجح والمحجوم" حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم.

4- ما يعرف بالإجماع: كحديث قتل شارب الخمر في المرة الرابعة فإنه منسوخ وعرف منسوخه بانعقاد الإجماع على تلك العمل به².

(1) المرجع السابق، ص 28، 29، 30، 31.

(2) المرجع السابق، ص 163-164.

معرفة تواريخ الرواة: وفيها معرفة وفيات الصحابة والمحدثين والعلماء ومواليهم ومقادير أعمارهم.

مثال:

1- الصحيح في سن سيدنا سيد البشر_ ورسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر- ثلاث وستون سنة.

- قبص رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ضحى لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة.
- وتوفي أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث عشر.
- وعمر في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.
- وعثمان في ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين وهو ابن اثنتين وثمانين و قيل تسعين.
- على في شهر رمضان سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين.
- طلحة والزبير في جمادى الأولى سنة ستة وثلاثين وكانا ابني أربع وستين.
- سعد بن أبي وقاص سنة خمسة وخمسين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.
- سعد بن زيد سنة إحدى وخمسين وهو ابن ثلاث أو أربع وسبعين.
- عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين سنة.
- أبو عبيدة بن الجراح سنة ثمانين عشرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

2- شخصيات من الصحابة عاشا في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام سنتين وماتا في

المدينة سنة أربع وخمسين:

- 1- حكيم بن حزام: كان مولده في جوف الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة.
- 2- حسان بن بن المنذر بن حرام الانصاري: وذكره المدر وحراما عاشا كل واحد منهم عشرين ومائة سنة وأن حسان مات سنة خمسين.

3- أصحاب المذاهب الخمسة رضى الله عنهم:

- سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله: توفي سنة إحدى وستين ومائة وكان مولده سنة سبعة وتسعين.
- مالك بن أنس رضى الله عنه: توفي بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، وقبل الثمانين سنة واختلف في ميلاده: فقليل في ثلاث وتسعين، وقيل أربع وقيل سبع...
- أبو حنيفة رحمه الله: مات سنة خمسين و مائة ببغداد وهو ابن سبعين سنة.
- الشافعي رحمه الله: مات في آخر رجب سنة أربع ومائتين بمصر، ولد سنة خمسين ومائة.
- أحمد بن محمد بن حنبل: مات ببغداد في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين. وولد سنة أربع وستين ومائة.

4- أصحاب كتب الحديث الخمسة المعتمدة رضى الله عنهم:

- أ- البخاري أبو عبد الله: ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة، لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وكان عمره وهو ابن اثنتي وستين سنة.
 - ب- مسلم بن الحجاج النيسابوري: مات سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة.
 - ج- أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث. مات بالبصرة في شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.
 - د- أبو عيسى محمد بن عيسى الشامي الترميذي: مات لثلاث عشر مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.
 - و- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي: مات سنة ثلاث وثلاثمائة.
- 5- سبعة من الحفاظ في ساقتهم أحسنوا التصنيف: وعظم الانتفاع بتصانيفهم في أعصارنا.

- 1- أبو الحسن على بن عمر الدارقطني البغدادي: مات في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ول في ذي القعدة سنة ست وتلثمائة.
 - 2- الحاكم أبو عبد الله بن البيع النيسابوري: مات بها في صفر سنة خمس وأربعمائة. وولد بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.
 - 3- أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي حافظ مصر: ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة. ومات بمصر في صفر سنة تسع وأربعمائة.
 - 4- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ: ولد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ومات في صفر سنة ثلاثين أو أربعمائة بأصبهان.
 - 5- أبو عمر بن عبد البر النمري: حافظ أهل المغرب. ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة ومات بالأندلس سنة ثلاث وستين وأربعمائة.
 - 6- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: ولد سنة ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ومات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.
 - 7- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ولد سنة اثنتي وتسعين وثلاثمائة. ومات ببغداد سنة ثلاث وستين وأربعمائة. رحمهم الله وإيانا والمسلمين أجمعين.
- ونجد كذلك أبو عبد الله بن عبد الرحمن السخاوي (831هـ - 902م/902هـ) قد تحدث في كتابه "فتح المغيـث" قد تحدث أيضا عن بعض أنواع الحديث من بين هذه الأنواع تحدث عن:

1- الناسخ والمنسوخ:

فقد عرّف النسخ لغة: يطلق على الإزالة، يقال نسخت الشمس الظل إذا أزالته وخلفته، وعلى النقل والتحويل، يقال: نسخت ما في الخلية من العسل والنحل إلى أخرى – ومنه نسخ الكتاب، والمنسختات في المواريث، وهو انتقال المال من وارث إلى آخر، ولا

يحتتم فيه المحو والانعدام، فليس نسخ الكتاب إعدادها للمنسوخ منه، وبالنظر في هذا المعنى قسمه بعض المحققين لخمسة نعاني:

- **نسخت الشمس الظل:** أزالتة وخلفته، الريح الأثر: أذهبتة، والفريضة الفريضة: نقلت حكمها إليها، والليل والنهار: بين انتهاءه وعقبه، ونسخت الكتاب: صورت مثله قال: وهذا أنسب.

ثم اختلف في حقيقته، فقيل: إنه مشترك بين الإزالة والتحويل، لأن الأصل في استعمال الحقيقة، وقيل: إنه حقيقة في الأول، مجاز في الثاني، وقيل بالعكس. قال الأصبهاني شارح "المختصر": والأخيران الأول من الأول، فالمجاز وإن كان على خلاف الأصل خير الاشتراك على أن العضد: قال إنه لا يتعلق به غرض علمي.

أما في الاصطلاح: (هو رفع الشارع) - صلى الله عليه وسلم - الحكم السابق من أحكامه بحكم عن أحكامه (لاحقا). هكذا عرفه ابن الصلاح. وقال إنه حد وقع لنا سالم من اعتراضات وردت على غيره، والمراد بارتفاع الحكم قطع تعلقه بالمكلفين: إذ الحكم قديم لا يرتفع، ألا ترى أن المكلف إذا كان مستجمعا لا بد منه: يقال تعلق به الحكم، وإذ **جت** يقال: ارتفع عن الحكم، أي تعلقه، ولذا صرح شيخنا تبعا لغيره بقوله: "رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه، ثم لكون الرفع لا يكون إلا بعد الثبوت، خرج بيان المجمل والاستثناء والشرط ونحوها، مما هو متوصل بالحكم، مبينا لغايته، لا سيما مع التقييد بالسابق¹.

واحترز بالشارع عن قول بعض الصحابة: خبر كذا ناسخ، فإنه لا يكون نسخا وإن كان التكليف بالخبر المشار إليه، إنما حصل بإخباره لمن لم يكن بلغه من قبل، وبالحكم السابق من أحكامه، عن رفع الإباحة الأصلية، فإن لا يسمّى نسخا، والاحتراز عن ذلك أيضا قيد بعضهم الحكم بالشرعي، وقال لأن الأمور العقلية التي مستندتها البراءة الأصلية التي لم

(1) كتاب، "فتح المغيبي"، د. أبو عبد الله بن عبد الرحمن النحوي، مخطوط دار الكتب المصرية بتصرف.

تنسخ، وإنما ارتفعت بإيجاب العبادات، ولكن هذا القيد مستغنى عنه بما قدمناه، وبحكم من أحكامه عن الرفع بالموت، وكذا بالنوم والغفلة والجنون، وإن نازع فيه بعضهم بأن النائم وما بعده، رفع الحكم عنهم بحكم من أحكامه، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنكم لا تقوا العدو غذا والفطر أقوى لكم فأفطروا"، فالصوم مثلا بعد ذلك اليوم ليس بنسخ متأخر، وإنما المأمور به مؤقت، وقد انقضى وقته بعد مُضي اليوم المأمور بإفطاره، ووراء هذا أن البلقيني زاد في الحد كون الحكم بالمحكوم عليهم، أي تعلق تنجيزيا لعدم إبلاغه لهم، فأما في حقه "صلى الله عليه وسلم" فمحتمل إلا أن يلمح إنه إنما يتعلق بعد البيان، وهي غير مسألة النسخ، قيل وقت الفعل لوجود التعلق بخلاف البيان. ولكن قيل: إن هذا القيد قبل ما حملته عليه مستغن عنه بقوله: الحكم إذ الحكم الشرعي لا بد وأن يكون متعلقا بفعل المكلف تعليقا معنويا، قبل وجوده تنجيزيا بعد حسبا أخذ في حد الحكم: حيث قيل فيه: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين من حيث التكليف بالاقتضاء أو التنجيز فحينئذ لفظ الحكم نعني عنه على أن في تعريف شيخنا السابق ما يخرج به، واختار التاج السبكي في تعريفه، أنه رفع الحكم الشرعي بخطاب وقال: إنه أقرب الحدود¹.

وبالجملة فكونه رافعا هو الصحيح، وإلا فقد قيل إنه بيان لانتهاء أمد الحكم والناسخ ما دل على الرفع المذكور وتسميته ناسخا مجاز: لأن الناسخ في الحقيقة هو "الله". وقد قال ابن كثير في هذا النوع: "إنه ليس من خصائص هذا العلم، بل هو بأصول الفقه أشبه" ونحو قول ابن الأثير: "معرفة المتواتر والأحاد والناسخ والمنسوخ وإن تعلقت يعلم الحديث، فإنه المحدث لا يفتقر إليها، بل هي من وظيفة الفقيه لأنه يستنبط الأحكام من الأحاديث فإن تصدى لمن رواه فزيادة في العضل وكمال في الاختيار.

وقد تحدث أيضا بن عبد الرحمن السخاوي عن النوع الثاني وهو عن: "الأسانيد وأصحاها" فقال: أصح الأسانيد واعلم أنه لا يلزم عن الحكم بالصحة في سند خاص الحكم

(1) المرجع نفسه، ص 17، 18.

بالأصححة لفرد مطلقاً (بل المعتمد كما ساكنا) أي كفنا (عن حكم على سند معين) بأنه أصح الأسانيد (مطلقاً) كما صرح به غير واحد من أئمة الحديث. قال النووي: إنه المختار لأن تفاوت مراتب الصحيح مترتب على تمكن الاسناد من شروط الصحة، ويعرّف وجود أعلى درجات القبول من الضبط والعدالة ونحوهما في كل فرد، فرداً من رواة الاسناد من ترجمة واحدة بالنسبة لجميع الرواة الموجودين. كل فرد من جميع من عاصره.

(وقد خاض): إذ اقتحم الغمرات به أي بالحكم بالأصححة المطلقة، فتكلموا في ذلك، واضطربت أقوالهم فيه لاختلاف اجتهادهم، كما ذهب إليه الإمام البخاري: أصح الأسانيد ما رواه مالك نجم السنن القائل فيه ابن مهدي: "لا أقدم عليه في صحة الحديث أحدا". الشافعي إذا جاء الحديث عنه فشدد يدك به، كان حجة الله على خلقه بعد التابعين عن شيخ (نافع): القائل في حقه أحمد عن سفيان: "أي حديث أوثق من حديث؟". بما أي: بالذي رواه له الناسك أي العابد (مولاه) أي مولى نافع، وهو سيده عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - والمولى يطلق على كل من المُعتق. والمُعتيق وقال فيه - صلى الله عليه وسلم -: "نعم الرجل عبد الله ولو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل إلا قيل". وقال جابر رضي الله عنه: "ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها إلا هو"¹.

(واختبر): إذا جنحت لهذا أو زدت روايا بعد مالك (حيث عنه يسند) إمامنا الشافعي واختر هذا فحيث، وما بعده في موضع المفعول فقد روينا عن أحمد بن حنبل قال: "كنت سمعت الموطأ من بعضة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك - رحمهما الله - قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي إنه - أي : هذا الأستاذ - أجل الأسانيد الاجماع أصحاب الحديث أنه لم يكن الرواة عن "مالك" أجل من "الشافعي". قلت واختركما. قال الصّلاح العلائي شيخ المصنف: إن زدت بعد الشافعي أحد حيث (عنه) بسند أحمد وه

(1) المرجع السابق، ص 34.

وحقيق بالإلحاق، فقال الشافعي: "إنه خرج من بغداد وما خلف بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه واجتماع الأئمة الثلاث في هذه الترجمة قيل لها: سلسلة الذهب".

فإن قيل: فلم أكثر أحمد في مسنده من الرواية عن ابن مهدي ويحيى وابن سعيد حيث أورد حديث مالك، ولم لم تخرج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الأصول ما أورده من حديث مالك من جهة الشافعي عنه.

امكن أن يقال عنه أحمد بخصوصه، لعل جمعه المسند كان قيل سماعه من الشافعي وأما من عداه فاطلب العلوّ، وقد أوردت في هذا الموضوع من النكت أشياء مهمة.

وقد تعرض أيضا: إلى نوع ثالث متمثل في أقسام الحديث: فتحدث عنه فقال: "أقسام الحديث (جمع قسم وهو النوع والصنف والضرب) معانيها متقاربة، وربما تستعمل لمعنى واحد، وأهل هذا الشأن أي الحديث قسموا السنن المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً له وفعلاً وتقريراً (إلى صحيح وضعيف وحسن) وتلك بالنظر لما استقر اتفاقهم بعد، لاختلاف عليه.

وخصص الثلاثة بالتقسيم لشمولها لما غداها مما سيذكر من مباحث المتن دون مختلفة وغريبه وناسخه ومن تقبل روايته أو ترد والثقة والضعفاء.... والحاصل شمولها لكل ما يتوقف عليه القبول والرد، ومنها للخروج من هذه الأنواع عنها:

1- الحديث الصحيح:

وقدم لاستحقاقه التقديم رتبة ووضعاً وترك تعريفه لغة: أي بأنه ضد المكسور والسقيم وهو حقيقة في الأجسام بخلافه في الحديث والعبادة: وبمعاملة وسائر المعاني، فمجاز ومن باب الاستعارة بالتبعية لكونه خروجاً عن الغرض¹.

تفصيل شروط الحديث وهذا هو الشرط الأول، وهو الذي يثبت مسامعهم بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، والثاني هو صوته له عن تطرق الخلل إليه من حيث سمع فيه

(1) المرجع السابق، ص 71 بتصرف.

إلى أن يؤدي وأن منع بعضهم الرواية من الكتاب. وهذا أعنى الضبط وهو ثالث الشروط على ما ذهب إليه الجمهور، حيث فرق بين الصدوق والثقة والضابط وجعلوا لكل صفة منها رتبة دون التي بعدها وعليه متن المصنف. ويتأيد بتفضيل العدالة عن شروط الضبط من تقبل روايته، ولذلك تعقب المصنف الخطابي في اقتصاره على العادلة، وانتصر شيخنا الخطابي حيث كاد أن يجعل الضبط من أوصافها، لكن قال في موضوع آخر أن تفسير الثقة بمن فيه وصف زائد عن العدالة وهو الضبط إنما هو الأصلح لبعضهم...

2- الحديث الحسن:

وقدم لاشتراكه مع الصحيح في الحجة والمتن لما كان بالنظر لقسميه الآتين تتجاذبه الصحة والضعف، واختلف تعبير الأئمة في تعريفه [بحيث أفرد فيه بعض متأخري شيوخ شيوخنا رسالة]. فقيل: (المعروف مخرجا) أي المعروف مخرجه، وهو كونه شاميا عراقيا، مكيا كوفيا. كان يكون الحديث من رواية راو إذا جاء عن قتادة ونحوه: كان مخرجه معروفا بخلافه عن غيرهم، وذلك كناية عن الاتصال: إذ المرسل والمنقطع والمفضل – لعدم وجود بروز رجالها – لا يعلم مخرج الحديث منها، وكذا المدنس – بفتح اللام – وهو الذي سقط منه بعضه، (وقد اشتهر رجاله) بالعدالة والضبط كذلك المتوسط بين الصحيح والضعيف، ولا بد مع هذين الشرطين، ألا يكون شاذا ولا معللا، لكن (بذاك)، أي بما تقدم من الاتصال والشهرة (حد الامام) الحافظ الفقيه أبو سليمان (حمد) – بدون همزة، وقيل: بإثباتها، ولا يصح – ابن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البتي الشافعي – مصنف أعلام الجامع الصحيح للبخاري، ومعالم السنن لأبي دواود وغيرهما – وأحد شيوخ الحاكم، مات بـ "ست" في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (388هـ). كما عرف الصحيح بأنه ما اتصل سنده وعدلت نقلته، غير متعرض لمزيد، ولأجل تعريفه له في معالمه بجانب نوع العبارة، وتعين حمل الاشتهار فيه على المتوسط كما قررته¹. وتقوى به قول ابن دقيق

(1) المرجع السابق، ص 87.

العيد: وكأنه: أي: - الخطابي - أراد ما لم يبلغ مرتبة الصحيح، قال: (وإلا فليس في عبارته كبير تلخيص لدخول الصحيح في التعريف: لأنه أيضا قد عرف مخرجه واشتهر رجاله. هذا مع أن التاج التبريزي ألزم ابن دقيق العيد: بانتقاده إدخال الصحيح في الحسن. مع قوله في الجواب عن استكشاف جمع الترميذي بين الحسن والصحة كما سيأتي: كل صحيح حسن التناقض. وقال: (إن دخول الخصا - وهو هنا الصحيح في حد العام ضروري - والتقبيد بما يخرج عنه محل للحد) وقال الشارح: لأنه متجه).

1- الشاذ: لغة واصطلاحا والخلاف فيه:

الشاذ لغة: المنفرد عن الجمهور، يقال: شذّ، يشذُّ بضم الشين المعجمة وكسرهما شذوذا إذا انفرد(وذو الشذوذ) يعين الشاذ.

أما في الاصطلاح: (ما يخالف) الراوي (الثقة فيه) بالزيادة أو النقص في السند أو في المتن (الملا) بالهمز وسهل تحفيفاً، أي الجماعة الثقات عن الناس: بحيث لا يمكن الجمع بينهما. (فالشافعي) بهذا التعريف (حققه). وكذا حكاه أبو يعلى الخليلي عن جماعة من أهل الحجاز وغيره من المتحققين: لأن العدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد وهو مستقر. بأن مخالفته للواحد الأحفظ كافية في الشذوذ وفي كلام ابن الصلاح، ما يشير إليه: حيث قال: (فإن كان مخالف لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط، كان ما انفرد به شاذاً مردوداً).

ولذا قال شيخنا: (فإن خولف - أي: الراوي بأرجح منه لمزيد ضبط أو كثرة عدد أو غير ذلك من وجوه الترجيحات - فالراجح يقال له: المحفوظ، ومقابله وهو المرجوح يقال له: شاذ)¹.

ومن هنا يتبين أنه لا يحكم في تعارض الوصل والرفع مع الإرسال والوقف بشيء معين، بل إن كان من إرسال أو وقف من الثقات أرجح قدم، وكذا بالعكس.

(1) المرجع السابق، ص 36، بتصرف.

مثال الشذوذ في السند: ما رواه الترميذي والنسائي وابن ماجة عن طريق ابن عينية عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس أن رجال توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبدع وارثا هو أعتقه... الحديث.

فإن حماد بن زيد رواه عن عمرو مرسلًا بدون ابن عباس، لكن قد تابع ابن عينية على وصلة ابن جريح وغيره. ولذا قال أبو حاتم: المحفوظ حديث ابن عينية هذا، مع كون حماد منا أهل العدالة والضبط، ولكنه رجح رواية منهم أكثر عددا منهم ومثاله في المتن زيادة يوم عرفة في حديث: أيام التشريق، أيم أكل وشرب، فإن الحديث من جميع طرقه يدونها، وإنما جاء بها موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر كما أشار إليه ابن عبد البر.

قال الأثرم: والأحاديث إذا كثرت كانت أثبتت من الواحد الشاذ وقد يهيم الحافظ أحيانا، على أنه قد صحح حديث موسى هذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال: إنه على شرط مسلم.

وقال الترميذي (إنه حسن صحيح) وكان ذلك لأنها زيادة ثقة غير منافية لإمكان حملها على حاضري عرفة وبما تقرر علم أن الشافعي قيد التفرد بقيدين: الثقة والمخالفة...).

1- المرسل: وجمعه مارسيل: بإثبات الياء وحذفها أيضا، وأصله كما هو حاصل كلام العلائي: مأخوذ من الإطلاق وعدم المنع. معنى المرسل: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَثُّهُمْ أَوْ أَكْرَهْتُمْ﴾ أي سريعة السير: كأن المرسل أسرع فيه عجلا، فحذف بعض اسناده، قال كعب:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق فالتجيبات المراسيل

أو من قولهم: جاء القوم أرسالا، أي متفرقين، لأن بعض الاسناد منقطع مع بقيته.

أما في الاصطلاح: في (مرفوع) أي مضاف (تابع) من التابعين إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالتصريح أو الكناية (على المشهور) عند أئمة المحدثين (مرسل) كما نقله الحاكم وابن عبد البرّ عنهم، واختاره الحاكم وغيره، ووافقهم جماعة من الفقهاء والأصوليين. وعبر عنهم بعضهم كالقرافي في التنقيح بإسقاط الصحابي من السند، وليس بمتعين فيه، ونقل الحاكم تقييدهم له، باتصال سنده إلى التابعين وقيدته في "المدخل" بما لم يأت اتصاله من وجه آخر، كما سيأتي كل منهما، وكذا قيدته شيخنا بما سمعه التابعي من غير - النبي صلى الله عليه وسلم - ليخرج من لقيه كافرا فسمع منه، ثم أسلم بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - وحدث بما سمعه منه، كالتنوحي رسول هرقل: فإنه مع كونه تابعيا محكوم لما سمعه بالاتصال لا الإرسال، وهو متعين، وكأنهم أعرضوا عنه لندوره¹.

الحديث الضعيف:

أما الضعيف فهو ما لم يبلغ مرتبة الحسن ولم يفقد صفة من صفاته ولا احتياج لضم الصحيح إليه: فإنه حيث قصر عن الحسن كاف عن الصحيح أقصر ولو قلنا بتباينهما. وإن (بسط البغي): أي وإن طلب بسط وتركيب لأقسامه (قد شرط قبول قسم) أي: شرط من شروط المقبول الذي هو أم من الصحيح والحسن وهي ستة: اتصال السند، والعدالة والضبط، ونفي الشذوذ، ونفي العلة القادحة والعاخذ عند الاحتياج إليه التي بالنظر لانتقائها اجتماعا وانفرادا تحدد أقسامه ففقد الاتصال مثلا قسم تحته ثلاثة: المرسل والمنقطع والمفضل.

وفاقد اثنين منهما: وهما الاتصال مع آخر من الخمسة الباقية (قسم غيره): أي غير الأول تحته ثمانية عشر بالنظر إلى الضعيف والمجهول اللذين يشملهما فقد العدالة: لأنك تضربهما والأربعة الباقية في الثلاثة الداخلية تحت فقد الاتصال، فتبلغ ذلك، وحينئذ فمجموع القسمين أحد وعشرون قسما.

(1) كتاب، "فتح المغيـث"، د. أبو عبد الله بن عبد الرحمن النحوي، مخطوط دار الكتب المصرية بتصرف.

(ووضع سواهما) أي: وضع واحد غيره فقد الاتصال، والأخر الذي فقد معه من باقيها إليها بحيث يصير المفقود ثلاث لا غير) ذلك قسم ثالث تحته ستة وثلاثون: لأنك تظم إلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع قسمي: العدالة، وإلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع الضبط، وإلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع العاضد - الشذوذ مرة والعلة أخرى - وإلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع قسمي العدالة والضبط تارة، والعاضد تارة أخرى، وكذا ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع شرطين آخرين: وهما اجتماع الشذوذ والعلة، فتلك ثلاث، وبما يصير هذا القسم تسعة وثلاثين.

(وهكذا) فافعل إلى آخر الشروط الثلاثة المتقدمة - فهو قسم آخر تحته اثنا عشر: لأنك تظم إلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع قسمي العدالة وإلى ما فقد فيه الاتصال بأقسامه مع الضبط، وإلى ما فقد الاتصال مع العاضد - الشذوذ والعلمة معا¹.

وأیضا من كبار العلماء المسلمين نجد عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـ-1445م/911هـ-1505م)، كان له حديث في علوم الحديث وأنواعه فقد تحدث عنه في "ألفيته في علم الحديث" فلقد بدأ ألفيته بالحديث عن "الاسناد" وهذا نوع من أنواع علوم الحديث فقال²:

لا ينبغي التعميم في الاسناد بل خصّ بالصحب أو البلاد
 فارفع الاسناد للصدیق ما ابن أبي خالد عن قيس نما
 وعمر فابن شهاب بدّه عن سالم عن أبيه عن جدّه

(1) المرجع السابق ص 170.

(2) "كتاب ألفية السيوطي في علم الحديث"، للمؤلف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (849هـ - 911هـ)، بتصحیح وشرح فضيلة الشيخ: أحمد محمد شاكر، القاضي الشرعي، طبع في المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد.

وكل هذه الأبيات وغيرها تدل على أصح الأسانيد فقد قال: "الذي انتهى إليه التحقيق في أصح الأسانيد أنه لا يحكم لإسناد بذلك مطلقا من غير قيد، بل يقيد بالصحابي أو البلد. وقد نصوا على أسانيد جمعتها وزدت عليها قليلا، وهي:

- أصح الأسانيد عن أبي بكر: اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر.
 - وأصح الأسانيد عن عمر: الزهري بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر. والزهري عن السائب بن يزيد عن عمر.
 - وأصح الأسانيد عن علي: محمد بن سيرين عن عبيدة - بفتح العين - السلماني عن علي والزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي.
 - وأصح الأسانيد عن عائشة: هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وأفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة....والزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة.
- ولقد ذكر كثيرا من الأسانيد وصولا إلى قوله:

ثم عن الصديق الا وهي كَرَّ لا صدقة عن فرقد عن مرّه
 والبيت. عمرُ ذا عن الجعفي عن حارث الأعور عن عليّ
 ولأبي هريرة: السريّ داوُد عن والده أيّ وهنّ¹

وهذا يعني: أو هي أسانيد عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: ما رواه لا صدقة بن موسى الدقيقي عن أبي يعقوب عن أبي يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي - بسين مهملة وباء موحدة مفتوحتين وكسر الخاء المعجمة - عن مرّة الطيب بن شراحيل الهمداني عن أبي بكر.....

- أو هي أسانيد أهل البيت: عمرو بن شمر الجعفي الشيعي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني عن علي عليه السلام وأشدهم ضعفا عمرو بن شهر. وللشيعية أسانيد أو هي من هذا جد يراها من يقرأ في كتبهم ويعجب منها.

(1) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (849هـ-1445م/911هـ-1505م)، إمام ومؤرخ كبير.

- أو هي الأسانيد عن أبي هريرة: السري بن إسماعيل عن داود بن يزيد عن أبيه عن أبي هريرة.

- أو هي الأسانيد عن أنس: دواد بن المحبر، عن أبيه عن أبان بن أبي عياش.

- أو هي أسانيد اليمانيين: حفص بن عمر بن ميمون العدني عن الحكم، بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن عباس.

ومن الأنواع التي تحدث عنها "السيوطي" في ألفيته كذلك أقسام الحديث فقد ذكر: الموضوع والموقوف والمقطوع في قوله:

وما يضاف للنبي المرفوع ولو من تابع، أو صاحب وقفار أو
سواء الموصول والمقطوع في ذيب، وجعل الرفع للوصل فقي
وما يضاف لتابع مقطوع نحو: من السنة، من صحابي

(وهذا يعني ما نسب- للنبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل أو تقرير - يسمى المرفوع، سواء حكاه عنه صحابي أو تابعي. وما نسب للصحابي من قول أو فعل أو غيره يسمى موقوفا. وسواء فيها أكان الاسناد موصولا أم مقطوعا.

وبعض المحدثين يستعمل المرفوع في مقابلة المرسل، بقول: رفعه فلان وأرسله فلان، فهو يريد المرفوع المتصل، وهذا تعبير بشيء من التساهل، لا يقصد منه التزام الاصطلاح. أما ما كان موقوفا على التابعي فإنه يسمى "المقطوع" وهو غير "المنقطع" الذي سيأتي، وقد يعبر عنه بعضهم بالموقوف، ولكن يقيده: هذا موقوف على ابن المسيب أو على نافع مثلا¹.

ولقد تحدث "السيوطي" أيضا عن أدق فنون الحديث وهو "علة الحديث": وقال عنه: أنه أدق فنون وأعوصها، بل هو رأس علومه وأشرفها، ولا يتمكن منه إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب، ولهاذا لم يتكلم فيه إلا القليل كابن المديني وأحمد والبخاري ويعقوب بن شيبة

(1) المرجع السابق، ص 17-21.

وأبي حاتم وأبي زرعة والترمذي والدارقطني، وقد ألفت فيه كتب خاصة، منها "كتاب العلل" في آخر سنن الترمذي، وهو مختصر، ومنها "كتاب العلل" لابن أبي حاتم... وغيرها.

وعلة الحديث: سبب غامض خفي قادح في الحديث مع الظاهر السلامة منه، والحديث المعلول: هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر سلامته منها، ويتطرق ذلك إلى الاسناد الذي رجاله ثقاة الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر. وأكثر ما تكون العلل في أسانيد الأحاديث، وقد تقدح في الاسناد وحده، إذا كان الحديث مرويا بإسناد آخر صحيح، مثل الحديث الذي رواه يعلى بن عبيد الطنافسي أحد الثقاة عن سفيان الثوري عن عمر بن دينار عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "البيعان بالخيار" الحديث، فهذا الاسناد متصل بنقل العدل عن العدل، وهو معلول، واسناده غير صحيح، والمتن صحيح على كل حال، لأن يعلى بن عبيد غلط على سفيان في قوله "عمر بن دينار" وإنما صوابه "عبد الله بن دينار" هكذا رواه الأئمة من أصحاب سفيان كأبي نعيم الفضل بن دكين ومحمد بن يوسف الفريابي بن يزيد وغيرهم، روه عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر.

وقد تقع العلة في متن الحديث وذكر له المؤلف مثلا حديث "البسمة" ونسبه للمسند، وأراد به صحيح مسلم فيما أسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتعبيره عنه بالمسند تعبير غير جيد، وإنما حكم عليه الوزن والقافية. وفي ألفيته أيضا تحدث عن "كتابة الحديث وضبطه وقد قال في ذلك:

كتابة الحديث فيه اختلفا ثم الجواز بعد اجماعا وفا
(مسند المنع حديث مسلم "لا تكتبوا عني" فالخلف نمي
فبعضهم أعله بالوقف وآخرون عللوا بالخوف¹

(1) المرجع السابق، 57، 58، بتصرف.

(وهذا يعني: اختلف الصحابة قديما في جواز كتابة الأحاديث، فكرها بعضهم، لحديث أبي سعد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه"¹).

وأكثر الصحابة على جواز الكتابة، وهو القول الصحيح. وقد أجاب العلماء عن حديث أبي سعد بأجوبة: فبعضهم أعله بأنه موقوف عليه، وهذا غير جيد، فإن الحديث الصحيح، فأجاب غيره بأن المنع هو من كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة وخوف اختلاطهما على غير العارف في أول الإسلام، وأجاب آخرون بأن النهي عن ذلك خاص بمد وثقا بحفظه خوف اتكاله على الكتابة، وإن من لم يثق بحفظه فله أن يكتب، وكل هذه إجابات ليست قوية والجواب الصحيح أن النهي منسوخ بأحاديث أخرى دلت على الإباحة....

ولقد تحدث أيضا السيوطي على نوع آخر وهو من أهم أنواع علوم الحديث وهو "الناسخ والمنسوخ" وقد قال فيه:

النسخ: (رفع أو بيان)، والصواب في الحد: رفع حكم شرع يخطاب
فأعن به فإنه مهم (وبعضهم أتاه فيه الوهم)
يعرف بالنص من الشارع أو صاحبه أو عُرف الوقت، ولو
(صح حديث) وعلى ترك العمل أجمع: فالوقف على الناسخ دل

(معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث فن من أهم فنونه وأدقها وأصعبها، قال الزهري: "أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه). والإمام الشافعي - رضي الله عنه - كانت له يد طولى في هذا الفن، قال أحمد بن حنبل لابن وارة - وقد قدم مصر

(1) رواه مسلم في صحيحه.

– "كُتبت كتب الشافعي؟" قال: "لا" قال: "فرطت إما علمنا المجمل من المفسر، ولا ناسخ الحديث من منسوخه – حتى جالسنا الشافعي"¹.

وقد ألف الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى سنة (584هـ) كتابا نفيسا في هذا الفن، سماه (الاعتبار في بيان النسخ والمنسوخ من الآثار)، طبع في حيدر آباد وحلب ومصر. ويعرف النسخ بأمر منها: النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كحديث: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فكلوا ما بدا لكم"². ومنها: قول الصحابي، كحديث جابر: "كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار"³.

وكحديث أبي بن كعب: "كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام، ثم أمر بالغسل"⁴. ومنها أن يعرف تاريخ الحديثين، فيكون المتأخر ناسخا للمتقدم، كحديث شداد بن أوس مرفوعا: "أفطر الحاجم والمحجوم"⁵.

ذكر الشافعي أنه منسوخ بحديث ابن عباس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم". فقال ابن عباس إنما صحبه في حجة الوداع سنة 10 وفي بعض طرق حديث شداد أن كان زمن الفتح سنة الثامنة (8).

وإذا صح حديث وثبت اجماع الفقهاء المجتهدين على ترك العمل به: دل ذلك على أنه منسوخ، أي دل الاجماع على أن هناك نصا آخر ناسخا له لم يصل إلينا، لأن الاجماع لا يُنسخ، وتفصيل هذا في مباحث علم الأصول.

(1) نفس المرجع، ص 307.

(2) رواه مسلم عن بريدة.

(3) رواه أبو داود والنسائي.

(4) رواه أبو داود والترمذي وصححه.

(5) رواه مسلم.

وإذا كان الحديثان المتعارضان لا يمكن الجمع بينهما فإن علمنا أن أحدهما ناسخ للآخر أخذنا بالناسخ، وإذ لم يثبت النسخ أخذنا بالراجح منهما. شمل حديث السيوطي في ألفيته كذلك عنت طبقات الرواة في قوله:

والطبقات للزوا لا تُعرف بالسّن والأخذ(وقد يختلف
فالصالحون باعتبار الصحية طبقة وقوف عشر رُتبه
ومن مفاد النوع أن يُفصلا عند اتفاق الاسم والذي تلا)

(ومعنى هذا: أن الصحابة باعتبار الصحبة فقط - : طبقة واحدة، وباعتبار درجاتهم في السابق إلى الإسلام وشهود المغازي وغير ذلك - والطبقات تزيد على العشرة¹).

ومن المعاصرين نجد الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب (1350هـ - 1932م) له أيضاً حديث عن "علوم الحديث" في كتابه "الوجيز في علوم الحديث ونصوصه"² ومن بين العلوم التي تحدث عنها نذكر بعضها: فمثلاً: "علم الجرح والتعديل: فقد عرفها لغة واصطلاحاً:

أ- الجرح لغة: مصدر من جرحه بجرحه، إذا أحدث في بدنه جرحاً يسمح بسيلان الدم منه، ويقال جرح الحاكم وغيره الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره³.

ب - اصطلاحاً: وهو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردّها، والتجريح وصف الراوي، بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها.

(1) نفس المرجع، ص 284.

(2) الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، للدكتور محمد عجاج الخطيب، حقوق التأليف والطبع والنشر، محفوظة في جامعة دمشق.

(3) أنظر: لسان العرب، مادة (جرح)، ج2، ص 243.

ج - العدل لغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم. وهو ضد الجور...ورجل عدل مقبول الشهادة...وتعديل الرجل تزكيته.

د- العدل اصطلاحاً: وهو من لمن يظهر في أمر دينه ومروءته ما يخل بهما، فيقبل لذلك خبره وشهادته إذا توفرت فيه بقية الشروط التي ذكرناها في أهلية الأداء.

والتعديل وصف الراوي بصفا تزكية فتظهر عدالته ويقبل خبره. وعلى هذا، فعلم الجرح والتعديل: هو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها.

أما فيما يخص مشروعية الجرح والتعديل: دلت قواعد الشريعة العامة على وجوب حفظها على المسلمين، وبيان أحوال الرواة سبيل قويم لحفظ السنة. قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾¹. وقال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾².

والمقصود بالمرضي من الشهداء من ترضين دينه وأمانته، وليس نقل الحديث وروايته بأقل من الشهادة، لهذا لا يقبل الحديث إلا من الثقات.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في الجرح: "بئس أخو العشيرة" وفي التعديل: "نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله"³.

وقد تحدث في كتابه أيضا عن شروط المعدل والجرح، فقال: كان الأئمة الذين تولوا بيان أحوال الرواة، وانتصبوا لحفظ السنة وتمييز الصحيح من السقيم - على جانب عظيم من العلم والورع والصدق والديانة، قضا حياتهم في هذا الشأن، وعرفوا ما تقتضيه العدالة، وأسباب الجرح، لهذا أجمع العلماء على وجوب توفر هذه الشروط في الجرح المعدل، فلا بد لمن يتولى هذا الشأن من أن يكون عالما تقيا، ورعا صادقا غير مجروح،

(1) سورة الحجرات، الآية 6.

(2) سورة البقرة، الآية 282.

(3) أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة.

ولا متعصب ضد بعض الرواة عارفا بأسباب الجرح والعدالة، ومن لم يتم له هذا لا يقبل منه القول في الرواة.

- وتكلم كذلك عن معرفة العدالة: فقال: تعرف عدالة الراوي بأحد أمرين: إما بشهرته بين أهل العلم بالعدالة، كمالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والإمام أحمد وغيرهم، فلا يصح أن يسأل عنه. لأن الحاصل بالشهرة فوق ما يحصل بتزكية رجل أو رجلين. وإما بالتزكية: وهي تعديل من ثبتت عدالته لمن لم يعرف بالعدالة، ويكفي لذلك تزكية عدل واحد، لأن العدد لا يشترط في قبول الخبر، فإن يشترط في جرح رواية وتعديله. وعلى هذا أئمة الحديث، وتقبل تزكية كل من تقبل روايته من ذكر أو أنثى، حرا كان أم عبدا، إذا كان عارفا بما يجب أن يكون عليه العدل وما يحصل الجرح. وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب تزكيه رجلين.

- وكذلك يثبت الجرح بالشهرة والاستفاضة، فمن عرف بفسقه أو كذبه ونحو ذلك اشتهر أمر لم يبق ضرورة للسؤال عنه، ويكتفي بما استفاض من أمره، ويثبت الجرح أيضا بجرح العدل العارف بأسباب الجرح، وعلى هذا أئمة الحديث، وقال بعضهم لا يثبت إلا بجرح عدلين.

- وفي حديثه عن مراتب الجرح والتعديل: قال لم يكن جميع الرواة الذي نقلوا الحديث على درجة واحدة من الحفظ والعلم والضبط، فمنهم الحافظ المتقن، الذي لا يشق له غبار، ومنهم من هو أقل ضبطا وحفظا، ومنهم من كان يهمل قليلا، أو يغلب عليه السهر والخطأ مع عدالته وأمانته¹. ومن الناس من دس نفسه في زمرة أهل الحديث، وكذب فيه، فكشف الله أمره على أيدي الجهابذ لا النقاد.

هكذا كان واقع الرواة، بعضهم أعلى من بعض، فجاءت أحكام جهابذة الجرح والتعديل بعبارات على مراتب مختلفة تدل كل عبارة على منزلة من وصف بها. ولم

(1) المرجع السابق، ص 237 ، 244 ، 245 ، 246 بالتصرف.

توضع هذه الأحكام والمراتب بعد جميع الحديث وتصنيفه، ولم يرتبها كل عالم على هواه، بل صدرت على الرواة بيان أحوالهم من قبل الأئمة النقاد في عصر رواية الحديث، وتمييز الصحيح من السقيم.... ويمكن أن نختصر القول في مراتب الجرح والتعديل في:

1- مراتب التعديل:

. **أولاً:** تكون بكل ما يدل على المبالغة في التعديل بل بصيغة أفعال التفضيل ونحوه مثل: أوثق الناس، أو ضبط الناس، وليس له نظير.

. **ثانياً:** فلان لا يسأل عنه... فلان لا يسأل عن مثله ونحو هذا.

. **ثالثاً:** تكون بما تؤكد توثيقه بصفة من الصفات الدالة على العدالة والتوثيق، سواء أكان باللفظ أو بالمعنى، نحوه: ثقة ثقة، وثقة مأمون.

. **رابعاً:** تكون بما يدل على العدالة بلفظ يشعر بالضبط مثل: ثبت، متقن، حجة.....

. **خامساً:** تكون بكل ما يدل على التعديل والتوثيق بما لا يشعر بالضبط والاتقان، نحوه: صدوق، مأمون، لا بأس به....

. **سادساً:** تكون بكل ما يشعر بقربه من التجريح، كقرن صفة المرتبة السابقة بالمشيئة، مثاله: شيخ، ليس ببعيد من الصواب....

1- مراتب التجريح:

. **أولاً:** تكون بكل ما يدل على المبالغة في الجرح، ومثاله: أكذب الناس ركن الكذب.

. **ثانياً:** تكون بالجرح بالكذب أو بالوضع، نحو كذاب، وضاع، وهي ألفاظ تدل على المبالغة ولكنها دون المرتبة السابقة.

. **ثالثاً:** تكون بكل ما يدل على اتهامه بالكذب أو الوضع ونحوه، كمتهم بالكذب، أو الوضع، أو يسرق الحديث، ويلحق بهذه المرتبة كل ما دل على تركه، نحو: هالك، متروك....

. رابعا: تكون بكل ما يدل على ضعفه الشديد، نحو رد حديثه، طرح حديثه، ضعيف جدا، وليس بشيء، لا يكتب حديثه.

. خامسا: وفيها كل ما يدل على تعيف الراوي واضطرابه في الحفظ، كمضطرب الحديث، أو لا يحتاج به، أو ضعفه، أو ضعيف....

سادسا: تكون بوصف الراوي بوصف يدل على ضعفه، ولكنه قريب من التعديل، مثاله: ليس بذاك القوي، فيه مقال، ليس بحجة، فيه ضعف، غيره أوثق منه¹. وقد تحدث كذلك الدكتور محمد عجاج الخطيب على "علم غريب الحديث" فقال عنه: هذا العلم يبين ما يخفى معناه من ألفاظ الحديث النبوي، وقد اهتم علماء المسلمين به، لما يترتب عليه من ضبط ألفاظ الحديث، وفهم معناه، إذ من العسير على المرء أن يروي ما لا يفهم، أو ينقل ما يحسن أداءه. ومعرفة مفردات الحديث ومعناها هي الخطوة الأولى إلى فهم معنى الحديث واستنباط الحكم منه، وتتأكد العناية بمعرفة غريب الحديث لمن يروي الحديث بالمعنى.

- ومما تجدر ملاحظته أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن غريبا على الأمة العربية في صدر الإسلام. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانان، وأعذبهم نطقا، وأسداهم لفظا، وأقوهم عبارة، ولا غرور في هذا... فكان يخاطب العرب على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم بما يفهمون، وإذا غرب عن بعض أصحابه شيء مما يقوله سألوه عنه، فبيّنه لهم.²

- وقد شمل حديثه كذلك على "علم ناسخ الحديث و منسوخه" ولقد عرف النسخ لغة: يطلق النسخ في اللغة على معنيين: الإزالة والنقل، والنسخ بمعنى الإزالة نحو: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر أي: أبطلته.

والنسخ بمعنى النقل: نحو: كقولك نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر.

(1) المرجع السابق، ص 246 – 248 بالتصرف.
(2) نفس المرجع السابق، ص 256 – 257 – 258.

والنسخ عند الأصوليين هو: "رفع الشارع حكما شرعيا بدليل شرعي متراخ عنه".
ومثال النسخ قوله صلى الله عليه وسلم: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة"¹.

أما موضوع ناسخ الحديث ومنسوخه هو العلم الذي يبحث عن الاحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ فما ثبت تقدمه كان منسوخا، وما ثبت تأخره كان ناسخا.

وأشهر ما صنف في ناسخ الحديث ومنسوخه: فمن أقدم ما صنف في هذا العلم كتاب "الناسخ والمنسوخ" ل: قتادة بن دعامة السدوسي وتالت المصنفات خلال القرن الثاني والثالث، ومن أشهر كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا، وما وصلنا من مؤلفات القرن الرابع كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) لمحدث العراق أبي حفص بن عمر بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين ... وغيرها من كتب أخرى كثيرة كتبت في هذا العلم....

وشمل حديثه أيضا عن أقسام الحديث من حيث القبول والرد: وقال فيها: أن من الطبيعي أن تكون لأبحاث العلماء في مجال معرفة الأحاديث القوية من السقيمة، ومعرفة أحوال الرواة الذي يقبل حديثهم أولا يقبل - نتائج علمية، واصطلاحا خاصة تدل على صحة الحديث أو ضعفه، ومن الطبيعي أن ينقسم الحديث إلى مقبول ومردود: مقبول توافرت فيه جميع شروط القبول، ومردود: فقد تلك الشروط أو بعضها.

ومن الطبيعي أن يندرج تحت كل قسم من هذين القسمين أنواع كثيرة تتفاوت قوة وضعفا بتفاوت أحوال الرواة والمرويات.

وقد اصطلح المحدثون على تقسيم الحديث ثلاثة أقسام: حديث صحيح، حديث حسن، وحديث ضعيف، وهذا التقسيم يدل على شدة حساسية ميزان النقد لدى المحدثين. ولا بدّ

(1) أخرجه الإمام مالك ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.

للإشارة هنا إلى أن كثيرا من أنواع الحديث: كالمسند والمتصل، والمرفوع والمعنعن وغيرها، قد تكون صحيحة أو حسنة أو ضعيفة¹.

(1) المرجع السابق، ص 271 بتصريف.

المبحث الثالث: مصادر علوم الحديث في المقدمة:

من المؤكد أن كان للعلامة ابن خلدون مصادر ومراجع أخذ واستفاد منها، ولقد كانت هناك كتب كثيرة كتبت في مجال علوم الحديث؛ ولقد اعتاد الباحثون في علوم السنة، تقسيم كتب علوم الحديث إلى طورين:

الطور الأول: طور ما قبل كتاب "ابن الصلاح" "معرفة أنواع علوم الحديث".

الطور الثاني: طور كتاب ابن الصلاح وما بعده¹.

- **الطور الأول:** أما بدء الطور الأول لهذا العلم فلا شك أن الإمام الشافعي - رحمه الله - (150هـ - 204هـ) أول من تكلم عن بعض علوم مصطلح الحديث كلاماً تفصيلاً وتأسلاً في كتابه المشهور "الرسالة" وإليك طرفاً مما قاله الإمام الشافعي - رحمه الله - مما يتصل بأوثق الاتصال بمصطلح الحديث. قال: رحمه الله في باب "خبر الواحد"². قال: "قال لي قائل أحد أقل ما تقوم به الحجة على أهل العلم حتى يثبت عليهم خبر الخاصة". فقلت: "خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو من انتهى به إليه دونه، ولا تقو الحجة بخبر الخاص حتى يجمع أموراً، منها أن يكون من حدث به ثقة في دينه معروف بالصدق في حديثه، عاقلاً لما يُحدث، لا يحدث به على المعنى من اللفظ وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدث به عالماً بما يحيل معاني الحديث لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه لم يدر: لعله يحيل الحلال إلى الحرام، وأذ أداه بحروف فلم يبقى وجه يخاف فيه إحالته الحديثة حافظاً إذا حدث به من حفظه حافظاً لكتابه، إذا حدث من كتابه، إذا ترك أهل الحفظ في الحديث وافق حديثه برياً من أن يكون مدلساً، يحدث عن من لقي ما لم يُسمع منه ويُحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما

(1) ينظر كتاب: نزهة النظر، لابن حجر - رحمه الله، ص 46-519، وكتاب لدرين الراوي للسيوطي - رحمه الله - (1/35 - 36).

(2) ينظر الرسالة للشافعي ص 38 - 8.

يحدّث عن الثقات خلفه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون هكذا من فوقه، مما حدّثه حتى ينتهي الحديث موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى من أنتهى به إليه دونه. لأن كل واحد منه مثبت لمن حدّثه، مثبت على من حدّث عنه، فلا يستقي في كل واحد منه عمّا وصفت...."1.

وينقل الحافظ بن حجر - رحمه الله - في مقدمته لكتاب "لسان الميزان" كلام الشافعي هذا "2. ثم قال: "وقد تضمن كلام الشافعي هذا جميع الشروط المتفق عليها بين أهل الحديث في حدّ من تقبل روايته".

ولقد علق الشيخ "أحمد شاكر" على كلام الشافعي في "الرسالة" بقوله: "...ومن فقه كلام الشافعي في هذه الباب، وجد أنه، جمع كل القواعد الصحيحة لعلوم الحديث "المصطلح"، وأنه أول من أبان عنه إبانة واضحة وأقوى من نص الحديث واحتجّ لوجوب العمل به وتصدى للردّ على مخالفيه، وقد صدّق أهل مكة وبرّ إذ سموه: "ناصر الحديث" رضي الله عنه"3.

- ثم تبعه الإمام الحافظ بعد الله بن الزبير الحميدي (219هـ) شيخ البخاري والذهلي وهذه الطبقة فقد روى عنه الحافظ أبو بكر بن الخطيب في مواضع كتابه "الكفاية في علم الرواية" كلمات هامة في مصطلح الحديث يمكن تعد رسالة في الموضوع فيها التعريف الكاشف للحديث الصحيح المحتج به، ولحكم الحديث المعتن، وما يعد جرحاً عاماً في الراوي وما لا يعد جرحاً في بعض حديثه، وغير ذلك مما له أهميته.

- ثم "الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله- (174هـ - 256هـ). فيه جملة كثيرة في مسائل مصطلح الحديث، وكذلك في مجموع

(1) المرجع نفسه، ص 38.

(2) ينظر: لسان الميزان، لابن حجر، (1/18 - 19).

(3) ينظر: ما علقه الشيخ أحمد شاكر على كتاب الرسالة للإمام الشافعي (ص 369).

كتبه (كتاريخ الضعفاء). منها جمل جمّة في علوم الحديث، لا سيما مباحث الجرح والتعديل.

- ثم جاء: الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج - رحمه الله - (240هـ - 261هـ): حيث قدّم في كتابه "الجامع الصحيح" مقدمة نفيسة، نظمت جملة صالحة من علم المصطلح، و جاءت المقدمة الحديثية الاصطلاحية بالغة الروعة، في لغتها، وقوتها ومضمونها.

وهناك من الأئمة المحدثين من كان يشير إلى بعض قواعد علوم الحديث من تصحيح أو تضعيف أو تحليل - خلال كلامه على الحديث كثيرا كان أو قليلا.

- ومن المكثرين: الإمام حافظ محمد بن سروه الترميذي - رحمه الله - ، ففي كتابه المشهور بـ "الجامع"، جملة كبيرة من علوم الحديث نجد ها مبنوثة في أبوابه، وعند الكلام على أسانيده.

- قال القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه الله -، في كتابه "عارضه الأحوزي"¹: وليس في قدر كتابي أبي عيسى مثله حلاوة مقطع ونفاضة مثرع وعضوبة مشرع، وفيه أربعة عشر علما فرائض: صئف - أي الأحاديث - على الأبواب - وذلك أقرب للعمل، وأسند، وصحح، وأشهر، وعدّد الطرق، وجرح، وعدّل، أسمى - أكنى - وصل، وقطع، أوضح المعمول به، المتروك، وبين اختلاف العلماء في الردّ والقبول لأثاره، وذكر اختلافه في تأويله - وكل عمل من هذه العلوم أصل في بابه فردّ في نصابه....

- قال الإمام: "أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد - رحمه الله - : هذا الذي قاله القاضي أبو بكر - رحمه الله -: " في بعضه تداخل مع أنه لم يستوف تعديد علومه، ولو عدّد ما في الكتاب من الفوائد بهذا الاعتبار، كانت علومه أكثر من أربعة عشر فقد: حسن، استغرب، بين المتابعة والانفراد، وزيادات الثقات...وبين المرفوع والموقوف، المرسل من الموصول، والمزيد في متصل الأسانيد، ورواية الصحابة عن بعضها بعض، ورواية

(1) المرجع السابق، ص 372 - 373.

التابعين عن بعضهم البعض، ورواية الصاحب عن التابع، وعدد من روى هذا الحديث من الصحابة، ومن ثبتت صحته وما لم تثبت، ورواية الأكابر عن الأصغر...¹.
وقد تدخل رواية الصحب عن التابع تحت هذا، وتاريخ الرواد، وأكثر هذه الأنواع، قد صنف في كل نوع منها.

- وقد ختم الترميذي أيضا "جامعه" بجزء نفيس للغاية ألحقه به وعرف أخير بكتاب "العلل الصغير"، جاءت فيه المباحث الكثيرة الهامة في: الجرح والتعديل، لزوم الاسناد، الرواية عن الضعفاء، ومن يحتج بحديثهم ومن لا يحتج، والتعديل، لزوم الاسناد، الرواية عن الضعفاء، ومن يحتج بحديثهم ومن لا يحتج، وفي الرواية بالمعنى، كما ذكر فيه بشيء من مراتب بعض المحدثين الكبار وصور التحمل والأداء. ومن حكم الحديث المرسل، واصطلاح الترميذي في وصفه الحديث بالحسن أو الغريب في كتابه.

- **ومن المقلين:** الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن شعيب النسائي - رحمه الله - (303هـ)، لم يخل كتابه "السنن" في بعض مباحث علوم الحديث، خلال القرن الثالث اتضحت معالم هذا العلم، "علوم الحديث"، لما ذكر من مسائله في كتب الرجال، أوفي كتب الحديث أو في كتب مستقلة ذات موضوع واحد، مثل كتب: الإمام علي بن المديني وأكثر الكاتبون في مسائله منهم: "الإمام حافظ حجة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الترامي (181-255هـ) في المقدمة النفيسة في كتابه "السنن" وهو أحد شيوخ الأئمة المحدثين الكبار: كالبخاري - مسلم - أبي داود - الترميذي - النسائي - أبو زرعة الرزي - أبي حاتم الرزي...وهذه الطبقة العالية الشأن.

فإن هذه المقدمة نفيسة الموقع كل النفاسة، إذا تعرض فيها للتعريف بصاحب السنة الشريفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان الناس عليه قبل مبعثه، كما يعرض لذكر أول شأنه عليه الصلاة والسلام وما أكرمه الله به من معجزاته، وما خص به من

(1) الأترنيت.

الصفات المحمدية والأخلاق النبوية ولذكر وفائه وللزوم أتباعه. وتوجد أيضا حملة من الألفاظ في "الجرح والتعديل"، والمصطلح في كتاب: "الثقات" للعجلي أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صلاح العجلي الكوفي ثم الطرابلسي (261هـ) 1.

وكذلك في كتاب "تاريخ ابن زرعة الدمشقي (200هـ - 281هـ) - رحمه الله -: كلام كثير جدا في الرجال ومسائل من علوم المصطلح، بل هو محشو حشوا بتلك الفوائد و المسائل، حتى إن تلميذه، أبا بكر الخلال أحمد بن أحمد بن هارون (311هـ)، سمى كتاب شيخه هذا: كتاب "التاريخ وعلل الرجال"، ففيه نقول في مسائل هامة من علم مصطلح الحديث من كلام أئمة القرن الثاني والثالث: كالإمام التابعي: محمد بن شهاب الزهري (124هـ) - رحمه الله - وكلام الإمام الأزاعي (157هـ) - رحمه الله -، وكلام الإمام مالك (179هـ) - رحمه الله -.

وقد جاء في كلام هؤلاء الأئمة التوثيق والتضعيف، والجرح والتعديل، والتفضيل لبعض رواة الثقات على بعض، وذكر من يدلس ومن لا يدلس، والمفاضلة بين الحافظ والأحفظ والفقهاء، وغير الفقيه، وحكم التحديث والاختبار والإجازة، والقراءة على العالم، والسماع منه، وكيف يُروى عنه في ذلك.

وذكر مصطلح بعض المحدثين ك: رحيم شيخ بن زرعة الدمشقي، وذكر من حُظي بالصحية واللقاء والادراك للنبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الموالي، ومواليهم، والأسماء المتفقة والمقترحة، وانساب الرواة وألقابهم، وكتابتهم، وبيان مواليدهم ووفياتهم، وبعض شيوخهم ببدعة القدرة والخوارج، وبالزندقة... وغيرها من المسائل الهامة المفيدة.

وهكذا تعددت التأليف، وتنوعت التصانيف، وكثرت الروافد والأصول، حتى جاء في القرن الرابع الهجري، أئمة أعلام لم يفوتوا من العناية، والكلام عن الحديث ومصطلحاته، ومباحثه فكانت هناك أبحاث تضم مجموعة من هذا العلم كانت باكورة تدوين فن الحديث،

(1) المرجع السابق، ص 22 ، 23 (بتصرف).

واشتهر أن أول من دَوّن في "المصطلح" الحسن بن خالد الرامهرمزي (360هـ) في كتابه "المحدث الفاضل بين الراوي والواعي"¹.

وقد هناك تأليف بصورة واسعة في منتصف القرن الرابع الهجري، وامتد إلى أوائل القرن السابع، وقد استوفى العلماء الكلام في متون الأحاديث، والرجال، وعلل الأسانيد، فأكَبَّ علماء الدوريبينون منهج القوم في عملهم، ويكتبون في ذلك مؤلفات كبيرة منها: الحاكم النيسابوري (451هـ)، فوضع كتابه "معرفة علوم الحديث"، وذكر فيه خمسين نوعاً، لكنه لم يهذب كتابه على الوجه الكامل.

ثم جاء الخطيب البغدادي (463هـ)، فوضع كتابين جامعين لكثير من أنواع الحديث، ووضع في كل نوع من أنواع علوم الحديث تأليف جامع. ويعد اكمال التصنيف في "علوم الحديث" قد امتد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري، وقد بلغ فن التصنيف لهذا العلم تمام كماله، فوضعت تصانيف استوفت أنواع هذا العلم، وجمعت إلى ذلك تهذيب العبارات، وقد بدأ ذلك على يد الإمام أبي عمرو بن الصّلاح في كتابه "علوم الحديث"، واقتفى أثره الأئمة من بعده، وكانوا في رتبة الاجتهاد غير مقلدين مثل النووي (676هـ)، والعراقي (860هـ)، وابن حجر (852هـ)².

وفي العصر الحديث، وهذا العصر يمثل دور اليقظة التنبّه، ومن مطلع القرن الهجري الحالي إلى وقتنا هذا، وفيه تبعت الأمة للأخطار الناتجة اتصال الغرب بالشرق والصدام العنيف العسكري والفكري، وقد ظهرت فيه دسائس، وأثيرت فيه شبهات حول السنة الشريفة، مما اقتضى الحال، تجديد طريقة التدوين في علوم الحديث. فظهر كتاب "قواعد التحديث" لجمال الدين القاسمي، وكتاب "مفتاح السنة" "العبد العزيز الخولي"، وكتاب "المنهج الحديث في علوم الحديث" للعلامة الشيخ محمد السماحي، وغير ذلك من التأليف المختلفة الكثيرة³.

(1) كتاب: دراسة في علوم الحديث، للدكتور محمد إبراهيم عبد الرحمن، طبعة 2005م، ص (18-19).

(2) المرجع السابق، ص 39.

(3) علوم الحديث، لابن الصّلاح، تحقيق نور الدين عنز، ص 18-20 (بتصرف).

إن مقدمة ابن خلدون تعتبر من خير ما كتب في علوم الانسان وفي العصر الذي كتبت فيه، ممثلة لأدق النظريات العلمية والاجتماعية والتاريخية والفكرية، بهذا فهي دليل لمن أراد الاطلاع على أحوال المعرفة في عصر ابن خلدون، وذلك سر بقائها بقيمتها الفكرية حتى عصرنا الراهن، وعليه فإن بالرغم مما كتب عن هذا العالم الكبير فإنه لم ينل حظه من البحث.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

- إن عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون عربي الأصل، يعود أصل أسرته إلى أصل يمانى حضرمي وتنسب إلى وائل بن حجر وهو صحابي معروف.

- إن عصر ابن خلدون هو نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، إذ عاش في القرن الرابع عشر ميلادي (الثامن هجري)، وكان هذا القرن فترة تغييرات تاريخية هائلة في الناحيتين السياسية والفكرية معا.

- لقد تقلد ابن خلدون عديدا من الوظائف، وقد كانت حياته مليئة بالرحلات والمغامرات، فقد سافر إلى فاس، الأندلس، اشبيلية وبجاية ومصر وفلسطين ... وغيرها من البلدان.

- تميز ابن خلدون بالنبوغ والذكاء، وهو يعتبر موسوعة علمية ومكتبة متنقلة، وأستاذا متجولا، فدرس وأفاد في عدة بلدان وفي مراكز العلم.

- ومن أشهر مؤلفات ابن خلدون كتابه "المقدمة" الذي بدأ في كتابته في قلعة بني سلامة بالقرب من مدينة فرنجة الجزائرية سنة 1375م، وقد تناول فيها جميع ميادين المعرفة، وقد احتلت مكانة مرموقة بين منظومة المؤلفات العربية.

- ولقد تحدث ابن خلدون في كتابه "المقدمة" في جزء منها عن علوم القرآن وقد عرف ذلك على أنه "كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة.

- لقد تعرض كثير من العلماء إلى علوم القرآن وعرفوها ومن هؤلاء الإمام العالم ابن الجوزي، وعبد الله بن عباس، وجلال الدين السيوطي ومحمد سلامة والشيخ مناع القطان... وغيرهم كثير في العصر الحديث.

- تحدث ابن خلدون أيضا في مقدمته عن مباحث علوم القرآن وهي الدراسات التي كتبت حول القرآن الكريم حول: مصدر القرآن وكيفية إنزاله وكتابته وجمعه ونسخه، وحول تلاوته وقراءاته، وحول تفسيره وكيفية فهم آياته، والدراسات التي تبحث في وجوه إعجازه.

- كما تحدث قبل ابن خلدون علماء آخرون عن هذه العلوم وبحثوا فيها منهم: العلامة شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة المقدسي و بدر الدين الزركشي وابن الجوزي و جلال الدين البلقيني والسيوطي.

- وتعتبر المصادر العربية الإسلامية التي سبقت ابن خلدون المصدر الرئيس لموارده التاريخية فهو ذكر أسماء المؤرخين الذين أخذ عنهم منهم: كابن إسحاق، الوافدي، المسعودي، الطبري، وابن كثير وابن الكلبي والزهرري وغيرهم.

- أما المصادر غير العربية فكانت رافدا من الروافد التي اعتمد عليها ابن خلدون في مادته التاريخية التي دونها في كتابه العبر، لما وضعه من قواعد رصينة تحكم طرق التعامل مع هذه المصادر.

- وابن خلدون وهو يتحدث عن علوم الحديث لم يعرفها بل لمح لها من خلال قوله: " إنها كثيرة ومتنوعة لأنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ..."

وقد تعرض ابن خلدون في حديثه عن مباحث علوم الحديث مبرزا أنها متعددة ومتنوعة فقد ذكر منها: معرفة الناسخ والمنسوخ، والنظر في الأساتيد، العدالة والضبط، الجرح والتعديل، أقسام الحديث....

- وفي بحثه لعلوم الحديث أخذ عن مصادر عديدة: كالرسالة للشافعي و "الكفاية في علم الرواية" للحافظ عبد الله بن الزبير الحمدي، و "الجامع الصحيح" للإمام الحافظ البخاري - رحمه الله- ، "الجامع الصحيح" للحافظ بن الحجاج، ونجد الترمذي، والنسائي، الدارمي والدمشقي... وغيرهم.

والله نسال التوفيق

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم "برواية ورش".

- أ -

1. ابن خلدون وتاريخه، لعزیز العظمة، ترجمة عبد الكريم ناصيق، ط، تموز "يوليو"، سنة 1981م، بيروت، لبنان.
2. ابن خلدون وحياته وتراثه الفكري، محمد عبد الله عنان، دار الكتب والوثائق القومية، ط، سنة 2006م
3. أبناء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي أبي حجر العسلائي، المجلس الأعلى للشؤون الدينية، ج5، ط، سنة 1389م.
4. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب "الأندلس" مكتبة الحابخي، ج3، القاهرة، ط، سنة 1975.
5. أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، جدعان فهمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط، سنة 1981.
6. أعمال الملتقى الدولي الأول لابن خلدون، السيد محمد طويلي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، تيارت، ط، سنة 1983.
7. ألفية السيوطي في علم الحديث، بتصحيح وشرح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاکر القاضي الشرعي، طبع في المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، بوزريعة، ط.

- ب -

8. البرهان في علوم القرآن، تأليف للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزرعشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط، سنة 1988.

- ت -

9. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج7، ط1، سنة 1971م.
10. تاريخ العلامة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، دار الكتب اللبناني، م7، بيروت، ط1، سنة 1490م
11. التبيان في علوم القرآن، تأليف المعتصم بالله طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري، ط1، 1384هـ، مطبعة المنار بمصر، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
12. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، لـ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط1، (849/1445هـ، 911/1505م).
13. التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، سنة 1007م.
14. التفكير الاجتماعي الخلدوني، وأثره في علم الإجماع الحديث، تأليف: إدريس خضير، ط1، سنة 2007م.
15. الإتقان في علوم القرآن وبالهامش إعجاز القرآن للإمام جلال الدين السيوطي، تأليف القاضي أبي بكر الباقلاني، ج1، القاهرة يناير، سنة 1951م، ط1.

- خ -

16. الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، لـ اعلي أومليلي، ط1، سنة 2005م، الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.

-د-

17. دراسة في علوم الحديث للدكتور محمد إبراهيم عبد الرحمن، الناشر: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط₁، سنة 2005م.
18. الدلالات الحضارية في لغة المقدمة، عند ابن خلدون، للدكتور حسن إسماعيل، الناشر: دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط₁، سنة 2007م.

-ض-

19. الضوء اللامع، عثمان بن محمد السخاري، دار النشر القديسي، مج₂، مج₄، القاهرة، ط₁، سنة 1934.

-ع-

20. عبقریات ابن خلدون، علي عبد الواحد، دار عالم الكتب، القاهرة، ط₁، سنة 1973.
21. علم التاريخ عند عبد الرحمن ابن خلدون، عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الثقافة، ط₁.

-ف-

22. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث العراقي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط₁.
23. فتح الباري لشرح صحيح البخاري الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني 773هـ - 852هـ، ط₁.
24. الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون، د: محمد بشار عابدين، ود: عماد المصري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية م₂₅، ط₁.

25. الفكر العلمي عند ابن خلدون، الصغيراني عمار، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ط، سنة 1981.
26. الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، عبد الله شريط، للشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط، سنة 1975م.
27. الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، مغربي عبد الغني، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، سنة 1976م.
28. فنون الأفيان في عيون علوم القرآن، الإمام العلامة الجامع أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، حققه وأكمل فوائده الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار الشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط، سنة 1987م/1408هـ.
29. في علمية الفكر الخلدوني، لمهدي عامل، الناشر، الدار الفرالي، بيروت، لبنان، ط، سنة 2006م.

-ل-

30. لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للشيخ عبد الفتاح، أبو غدة، رحمه الله، ص 198 - 200، بتصرف.

-م-

31. مالك بن نبي و ابن خلدون، موافق وأفكار مشتركة، بن براهيم الطيب، مؤسسة الإخوة مدني، ط، سنة 2007م.
32. مؤلفات ابن خلدون، عبد الرحمن بدوي، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ط، سنة 1962م.

33. مباحث علوم القرآن، تأليف الدكتور صبحي صالح، أستاذ الدراسات الإسلامية وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية، ط¹، دار العلم للملايين، بيروت، آب/ أغسطس سنة 1977م.

34. مباحث في علوم القرآن، تأليف الشيخ مناع القطان، الناشر مكتبة وهبة، ط¹.

35. المخطوط الأوسكوريال، برقم 65 (5)، ج⁶، دار الكتب المصرية، ط¹.

36. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تأليف شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة المقدسي، حققه: طيار ألتي قولاج، دار صادر، بيروت، ط¹، 1975م/1395هـ.

37. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ط¹.

38. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث "لابن الصلاح" أخرج أحاديثه وعلى عليه: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط¹.

39. منهجية ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق الدكتور محمد محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط¹ سنة 1426هـ/2005م.

40. مناهل العرفات في علوم القرآن، بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جميع الحقوق محفوظة، ج¹، ط¹.

41. منهج الفرقان في علوم القرآن، تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد علي سلامة، ج¹، ج²، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، تحقيق د: محمد سيد أحمد المسير، جامعة الأزهر، ط¹، نوفمبر سنة 2002م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

42. مواقع العلوم في مواقع النجوم، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني، دراسة وتحقيق، الدكتور أنور محمود المرسي خطاب مدرس التفسير وعلوم القرآن، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ط¹.

- و -

43. الوجيز في علوم الحديث وخصوصه، للدكتور محمد عجاج الخطيب، أستاذ في كلية الشريعة، جامعة دمشق، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط.

رسائل ومجلات:

44. ابن خلدون فقيه، هاني محمد أبو شنب، رسالة تخرج، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، سنة 2012م.

45. مؤتمر عبد الرحمن ابن خلدون، قراءات معرفية، مركز الدراسات المعرفية، سنة 2000م.

46. الانترنت.

فهرس الموضوعات

شكر وعر فان

الاهداء

مقدمة

الفصل الأول : حياة ابن خلدون وأثاره الفكرية ص2

المبحث الأول :التعريف بالمقدمة ص21

المبحث الثاني: لغة المقدمة ص25

المبحث الثالث: أبواب المقدمة ص29

الفصل الثاني: علوم القران في المقدمة ص

المبحث الأول: التعريف بعلوم القران ص42

المبحث الثاني: مباحث علوم القران ص55

المبحث الثالث: مصادر علوم القران ص77

الفصل الثالث: علوم الحديث في المقدمة

المبحث الأول: التعريف بعلوم الحديث ص83

المبحث الثاني: مباحث علوم الحديث ص89

المبحث الثالث: مصادر علوم الحديث ص123

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع